حسني فريز

قصص ونقرات

قصص ونقرات

حسني فريز

عمّان - سنة الطبع ١٩٥٠م

رجاء . . .

هذه بعض القصص . وبعض النقدات من حصاد هذا العام رأيت أن أولف بينها . وأجعلها بين دفتي كتاب . فقد طالما فرقت بين مثيلاتهـــا . وتركتها طي النسيان . ولم أكن من أجـل ذلك مسروراً . فلما عزمت . ودفعت بهـذه الأوراق الى المطبعة أحسست برد الراحة . وزاد فى غبطتي أن أكون من المساهمين فى إصدار كتاب فى هذه الأيـــام إذ أن أكثر من رجل ممن يعنون بدراسة النهضة الأدبيـة والاجتماعيـة فى هذا البلد الطيب قالوا اننا نريد مزيداً من الكتب . وكنت أقول لهم ان المقـالات التى تبين لكم كثيراً من معالمنـا موجودة تقرؤونهـا كل يوم . ويقولون هذا صحيح ، إلا أن الكتاب أشمل . ولا تغني هذه عن ذاك ، ولا ريب ان هذا أشعرني بلزوم الاقبال على النشر كلما تهيأ لدي مـا أراه جديراً بأن لا يضيع من وقت القارىء .

وأنا أومن ان هذه الصفحـات لن تجعل الدقائق التي ينفقها القارىء سدى . على انه اذا رافقها قليلاً ثم عرف انه لا غناء فيها . فانني واثق أيضاً انه لم يخسر بسبب انه قرر لنفسه حقيقـة . ومن هنا فان وقته لم يذهب عبثاً . وهناك شيء واحد محقق . وهو انه لن يضيع زمناً طويلاً قبل أن يكتشف انه خسر أو انه لم يخسر .

وعلى كل حـال فانني لم أقصد أن أسيء وهذا وحده حسن . ولا سيما عند الذين يريدون الفكرة التي تتجلى بأشكال مختلفة ثم تكشف عن نفسها بأنهـــا هي هي لم تتغير وانها تهـــدف الى الأفضل والأحسن .

« حياتين »

أفاق مع العصفور في صباح يوم من أيام آب ، وخرج الى الكرم ووقف تحت شجرة من أشجار التين ، يقطف الثمر ويضعه في السلة ، وكان صباحاً طرياً ندياً ، وتأمل في التين الذي يقطفه ، وفي هذا العسل الذي يسيل من حبة التين من مكان المبسم ، وكان يود أن يتأمل هذا الجمال ، إلا أنه كان يود أن يملأ السلة قبل أن تشرق الشمس ، وهو يعلم أن سلوى ستوافيه عند ما تكون أشعة ذكاء قد مدت رداءها عـــلى الكرم ، فكان لا بد له أن يعجل ، قبل أن توافيه ، وأخـذ يتنقل من غصن الى غصن ، وينتقي الناضج الطري والباسم الشهي ، ويضعه في السلة ، وكان الندى قد شقق القشر فبان البياض والكساء الذي يغلف الثمرة ممـــا يلي القشر فقال في نفسه إن قلب سلوى هو كهذا البياض ، بل أشد منه نقاء وبهاء ، وقارن بين هذه الفتحة الحمراء في حبة التين وبين ثغرها فبدا له أن ثغرها يفوق هـــذا الجمال النباتي وخيل اليه أن طعم القبلةالتي لم يذقها أشهى بالف مرة من طعم هذا العسل الذي يخرج مناجمل

وأنضج حبة من حبات التين ، وانتقل الى شجرة اخرى ، وراح يتأملها ، فقال
انها فتية كفتاء سلوى ، ولا يزال ثمرها غير ناضج ، غير أنه يبدو لي اكثر حلاوة
من سواه ، لانه ثمر الشباب والشباب نعيم الحياة ، وأنا لم اجرب الشيخوخة ،
ولكني أعلم أن والدي وكثيرين غيره يقطعون انفسهم حسرات على الشباب ،
وأنا في ربيع العمر ونشوة المنى ، وليس يهمني ما يكون عليه المشيب أو مايأتي
به الغد من ترهل الجسم ، وتصلب الأعضاء ، فلسوف نعيش أياماً حلوة أنا
وسلوى ، ونعمل في هذا الكرم نأكل من تينه وزيتونه وأعنابه ، ونعمل فيه بهمة
الشباب وعزيمة الشباب ، وأنا وحيد أبي وهذا يكفي أن نعيش حياة سعيدة .
فلدينا دار واسعة ، وبئر ماء وهذا الكرم كثير الثمار ، وحاجاتنا من الخبز في
حرز حريز ، فان أرضنا تغل حتى في أيام المحل وتعطي أحسن القمح والشعير
والعدس ، ولم يبق إلا أن تزول هذه الجفوة بين أبي وأبيها سأصنع المستحيل
حتى أولف بين القلبين ، أو على الأقل حتى يتراضيا ويزول ما بينهما من مرارة،
يجب أن تزول الاحقاد بأي ثمن ، وقد عرف أبي بما في نفسي ، ورآني أمس
احدثها ، ورآها تضحك لي ضحكات تدل على الوله ، إن أبي يحبني وسوف
يطرح عداءه من اجلي ، أما ابوها فمن لي بمن يسوي الخلاف معه ، من لي بأن

يلين قلبه فيسوي ما بينه وبين أبي ، ان الزمان كفيل بأن يحل هذه المشكلة ، لكني أخاف ان يطلب يدهـــا شاب غيري قبل ان يذهب الجفاء ويحل محله الصفاء . يجب أن اذهب اليه بنفسي بعد أن امهد للأمر مع والدي ، ولكن هذه سلوى قد جاءت تنفخ كالريحان ، وتسير بخطى كخطى الغزلان ، رشيقة ناعسة الطرف ، رباه ما أحلى طلعتها ، انها أحلى من هذه الشمس التي أخذت تذر شعاعها فوق الكروم انهـــا تبتسم فما أجمل تينك الشفتين ، ان اكبر القياصرة لا بد أن تأسره شفتها السفلى ، ولو رأى أسنانها اذا ضحكت ، كلا انها لن تضحك أمامه ، لانها لا تضحك الا لي ، ولا تبتسم إلا لي ،أنا الذي احببتها ، أنا الذي اصطفيتها لنفسي ، واحببتها بكل قلبي ، وكل جوارحي ، انها لي أنا وحدي ، وانا لهـا وحدها من دون العالمين ، واذا رآها غيري فسأحطم رأسه هكذا ،واصطدمت يده نبؤي الخيمة التي يسكنها....بالحجارة فآلمته ، وصحا من نومه ، فنظر الى خيمته المهلهلة ، واحس بالبرد الذي يلسع جلده ، ففتح عينيه لينظر الى نفسه نائماً على حصير وكيس من الخيش تحت خيمة ممزقة ، فتبدى له أنه كان في حلم ، وانه خلع من حياة كلها أحلام سعيدة .

مسكين . . .

اغرم بمقارعة الباطل وظل يناضل ، سجنوه وآذوه ، وأفقروه ، ولكنه مع ذلك لا يكل ، لقد عاد خيالاً يمشي على الأرض ، انه ظل لذلك الرجل الفارع القامة الكبير الرأس ، الخفيف الروح، وكان يتوكأ على عصاه لأن ذلك من سمات الناس المحترمين في أواخر عهد العثمانيين ، وهو يحمل نفس العصا المفضضة ،ولكن حتى الفضة هرمت ، وصارت كئيبة : حال حالها وتغير بهاؤها وكانت عصاه تهتز في الهواء عنفواناً بعد أن تمس الأرض ، ثم تعود الى الأرض لتقرعها برشاقة فلا تكاد تمسها حتى ترتد الى الهواء ، واذا ارتدت الى الأرض، في أثناء حديثه الحماسي ، فقد دقتها بقوة وعزم شديد . ولشد ما كانت تنام فترة على ساعده معلقة بهذا الطرف المعقوف الملبس بالفضة واطمأنت الى ساعد مفتول يتفصد نشاطاً وقوة ، أما الآن فانه لا يروقها ذلك المضجع فلم تبق فيه الا جلدة طرية لا مسرة ولا لذة في طراوتها لانها رقيقة تنحسر بسرعة عن العظم الواهن فيذكرها هي أيضاً بشيخوختها ، وهي تفضل ان تكون في قبضته يتكيء بها على الأرض ، فتحس بثقل جسمه فتكذب على نفسها وتزعم ان هذا الحمل قوة ! وينظر الناس اليه والى عصاه ، فيقولون هذا رجل طيب ، لقد انفق أمواله،

وشبابه وكهولته وشيخوخته في سبيل الحق، في سبيل الله، في سبيل الوطن، وكان لا يريد من الناس شيئاً إلا أن يتحدث اليهم وينفخ فيهم من روحه ولكن الناس ـ أصدقاؤه ـ اخذوا يتحامونه، وينكمشون واحداً بعد آخر، وظل على عهده بالخروج الى السوق، والجلوس في بعض المتاجر، التي كان يجلس فيها، ويتحدث مع اصدقائه الذين يخفون اليه حالما يرونــــه، لأن في كلامه سحراً، ولالفاظه رونقاً، ولأنه يفسر لهم الحوادث والاحداث، ويطلعهم بذكائه الوقاد على ما يراد، ورغم أن السلطة ما كانت ترضى عنه، فان الناس لم ينفروا منه الا بمقدار، لأن جيبه كان عامراً، ولأنه كان يأمل ويأملون أن تتحسن الحال فيكون ثانية بين اصحاب السعادة عند الناس، ولكن الجيب الذي يستمر في الانفاق والبذل، دون أن يصب فيه مورد آخر يسد العجز لا بد أن يدركه النضوب، وهكذا نضب معينه فلما نضب معينه قل معنيه، وأخذ الناس يرون أنه انتهى وهم عندما يتكهنون بهذه الامور كثيراً ما يصدق حدسهم، وتتحقق فراستهم. ومن هم هؤلاء الذين ينظرون الى مستقبله؟ انهم ولا ريب أصدقاؤه الذين طالما ساندهم وناصرهم واخذ بيدهم في الملمات، لأنه كان يعتقد ان فيهم خيراً للبلد. وكانوا يعرفونه أنيقاً فرأوا أنه يلبس بدلة واحدة لا يكاد يخلعها، وهي بدورها أخذت تلمع، ولكنه ليس لمعان الجدة والنشاط بل هو لمعان القدم والتدهور، وكانوا يزورونه في البيت فأخذوا في التخفيف عليه، لأن

الزيارة تكلفه ! ! وما هي إلا شهور حتى انقطعوا عنه ، فلم يعد يراهم ، وعرف هو ما يدور في أذهانهم ، وعرف كل جوانب تفكيرهم ، فلم يأبه لذلك ، لأنه كان قد وطن النفس على المكروه ، على أنهم كانوا يجددون العهد في الأعياد فيلقاهم ويلقونه ، ويرون ويسمعون ويقرون ان ذلك العقل النير لا يزال كالفرقد بعيداً عنهم قريباً ضوؤه منهم فيشعرون انهم قـد فرطوا في جانبه ، ويشعرون انهم اقل من أن يسموا اصدقاءه ، ولكن الرجل العظيم لا يستطيع ان يجعل كل أصدقائه عظاماً ، وقد تلهمهم روحه العظمة اذا واتاه الحظ ولانت له سبل النجاح.ان كل ما يجمعونه من ثروات ، وكل ما يتمتعون به من شمل جميع في رأيهم لا يعدل اشارة واحدة من اشاراته ، ولا ابتسامة واحدة من بسماته ، انه يحتفظ بكل هدوئه ورباطـة جأشه لانه يعرف ما يريد ويؤمن بالحق ، وهم ؟ من هم ؟ انهم كأعشاب الربى لا تتميز عشبة من عشبة .

وكانوا في نديه مرة في عيد من الاعياد ، وخرج لبعض شأنه ثم عاد وكانوا في غيبته يتحدثون عنه ، وعن رجولته ، وعن قصورهم وموت الوفاء عندهم ، وكان هناك من يحسده حتى على حاله ، تلك ، فقال واحدانه مسكين، ولم يكن بينهم من سفه رأيه ، فسقطت الكلمة في اذنه واستقرت في قلبه فسقط على الأرض ، وقبل ان يبلغ الارض كانت روحه ترفرف مشرقة في السماء .

فلنتكلم بصراحة

هذا ما يريده الناس ، استمع الى الامثال العامية ، واجلس بين الناس العاديين وأنصت الى أحاديثهم وتعابيرهم ، من أجل أن تتعرف على الكثرة ، ومن أجل ان تضع العلاج للادواء ، ومن أجل أن تبتني مجتمعاً سليماً ، ومن اجل ان تعرف انت ما يقوله الخاصة ، ومدى ما يمكن ان يؤثر فيك ، في شتى شؤون الحيـــاة ، ان البسطاء من الناس يضعون افكارهم في الفاظ غاية في الوضوح ، واذا أرادوا أن يشرحوا شيئاً لا يختص بشؤونهم العملية كانوا غير مبينين ، ففي أمر الطعام واللباس والزواج والموت والافراح يتحدثون بشكل طبيعي عادي لا أثر للكلفة فيـــه ، حتى اذا كان الامر يتعلق بالجنس فانهم لا يداورون ولا يتكلفون الاستعارة والمجاز ، وهم يريدون ممن يتحدث اليهم في شؤون السياسةوالحياة الاجتماعية ان يكلمهم بصراحة حتى يفهموا .هم يريدون ان يتعلموا وان يؤمنوا فهم قلوب متعطشة للايمان ، وعواطف زاهرة بحب الوطن ، ولكن ماذا ترى يقدم الادباء من الزاد الروحي لهؤلاء الناس . أنهم يعيشون على قصة أبي زيد وعنترة والزير سالم ، وسيف بن ذي يزن ، لأنهم هناك يعيشون ولقد كانت هذه القصص مصدر البطولة لهم ، غير ان الزمن

أخذ يسرع الخطى ، وأخذ الناس لا يجدون وقتاً كافياً للانصباب الى هذه القصص الطويلة ، وأصبحت لا تملأ نفوسهم ولا تشحذ هممهم كما كانت تفعل ، فماذا قدمنا لهم بدلها ؟ اننا بحاجة الى أن نغذي فيهم الطموح ، ونربي خيالهم ، ونسير معهم لنسير بهم في الأجواء التي يحبونها والاجواء التي تبقي على المثل العليا القومية سليمة نقية .

قال لي أجنبي يريد أن يكتب عن الحركة الأدبية في هذا البلد : عد لي الادباء القصاصين ، وكتاب المقالات ، والروائيين .

ثم سألني عن الكتب التي ألفت أين هي هذه الروايات التمثيلية ، واين هي القصص التي تنبع من واقع حياتنا ؟ هناك لا شك شيء . ولكن هل هو كاف ؟

انني احب أن اكون متفائلاً ، وأحب أن اصور الاشياء كما يريدها المتفائل وكل فرد في الامة يبتغي ذلك ، وأحب أن اكون صريحاً ، ولكني أتحدى أي انسان ان يقول عني انني صريح . اننا نكتب لفئة خاصة من النقادين ، الذين يريدون الكتابة ، ويبتغون المجاز ، والاسلوب العالي المزخرف ، واكثر من ذلك فان هؤلاء يتخذون ما يقرؤون تسلية وتقطيعاً للوقت ، ثم اننا لا نستطيع ان نكتب الى الكافة كتابة ترضي الخاصة ، ولا نستطيع أن نرضي

الكافة لاننا لا نعرف ذلك . وهب اننا عرفنا ما نريد وما يريد الـكافة ؟ أتظن ان في طوقنا أو في طبعنا ان نكون صريحين ؟ اننا ولا ريب حين نقرأ مايكتبه الناس ، وحين نكتب للقراء انما نفعل ذلك بدافع فني وبدافع طلب المعرفة ونشرها ، هذا حق ما في ذلك ريب. وحق أيضاً أن التجاوب اللازم غيرمتوفر، وكيف تريد أن يحصل التجاوب ونحن اذا تناولنا مشكلة من المشاكل لففناها بالالفاظ ثم لففناها حتى تختفي معالمها ، وحتى تخرج عن صفتها وكنهها ، بل اننا نعرض عمداً عن الأمور التي ينبغي ان يعرفها الناس ليأخذوا بها ان كانت نافعة ويتنكبوها ان كانت ضارة .

وانت تريد تخصيصاً بعد التعميم ، ومثلاً واقعياً بعد هذا الكلام وإلا عد ضرباً من الاوهام . خذ النظافة ، نعم النظافة . كم مرة كتبنا للناس عن مضرة البصق في الطريق . كم مرة تحدثنا عن النظام وقول الحق والجهر به . كم مرة كتبنا عن الخبز الذي نأكله كل يوم ثلاث مرات كيف يخبز ، وكيف يلبس خبازه ، وكيف يكون المحل الذي خبز فيه . وهذه المطاعم التي تقدم الأكل الشهي . كيف تطبخ ، وكيف حال المطبخ والطباخ ، وهذه المقاهي التي تقدم الاشربة والمثلجات، وهؤلاء الخدم الذين يقدمونها ، ما حالهم ، وما حال ملبسهم فلقد والله قدم لي أحدهم شراباً ويداه تدلان على انهما بعيدتا عهد بالصابون

أما ثيابه البيضاء فان عليها خيوطاً واضحة من الوسخ الأسود ، وفي رجله حذاء أعتقد أنه لم يكن المالك الاول ولا الثاني لذلك الحذاء .

هذه امور بسيطة جداً ولذلك لم يتناولها أحد بالشرح والنقد والتفنيد فما بالك بأمورنا العاطفية وامورنا الفكرية ، اننا لا نجد الشجاعة الكافية للاقتراب من حرمها فذلك قــد يجر كثيراً من المشكلات ، فلو أننا نظرنا الى هؤلاء الحجاج الذين جاؤا من أقاصي البلاد الاسلامية ، وهؤلاء الذين يقصدون الى بيت الله الحرام ، من هذا البلد كيف نوجههم وننصح لهم عند الحج وقبل الحج « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » أفليس من واجبنا أن نبصرهم ونفقههم بهذا الفرض المقدس ؟ وبمعنى الحج والغرض منه.

واننا لنعرف ان فينا شيئاً من التواكل ، أفليس من واجبنا بوصفنا ادباء ان نرسخ في أذهان الناس معنى « عقلت فتوكل » عـلى أن يكون الكلام في متناول الناس .

إن الشبان يتلقون المثل العليا في المدرسة ، فاذا خرجوا للحيـاة أخذوا يبتعدون شيئاً فشيئاً عن هذه المثل ، فهل فكرنا في الأسباب ، وهل أثرنا مثل هذا الموضوع البسيط جداً في حياة الامة ؟!!

انني لعلى يقين بان مثل هذه المواضيع ومئات اخرى حساسة تحتاج الى مزيد من الصبر ، الى مزيد من سعة الصدر عند القراء ، والى مزيد من الايمان بالحرية . ألا ترى أن اليونان قبل خمسة وعشرين قرناً كانوا يعرضون للناس حياتهم على المسرح ، وينقدونها وينقدون رجالهم العظام ويسخرون من كثير مما يألفون ومما يحبون . ثم ألا ترى أن المسرح لا وجود له لا في الاردن ولا في سوريا ولا في العراق وان هذه السينما التي تعرض الأفلام العربية تكرر قصة واحدة تقريباً في أساليب مختلفة ، وان الشبان ملوها واقبلوا على الافلام غير العربية .

ماذا نعدد من مشاكلنا ؟ انها كثيرة ، واكثر من ذلك اننا نحن الذين نزعم اننا نكتب للناس لسنا صريحين ، فليس يكفي ان نشير الى هـذا كله بلطف وانهزام ، بل لا بد ان ندخل المعركة بعنف وتصميم ، والا فلا فائدة ترجى من هذه اللمحات ، ولكننا نحتاج أولاً وآخراً أن نكون صريحين .

من شؤون حواء

قدم أحد خلفاء الأمويين مكـة فطلب محدثاً لبقاً فذكروا له عمر بن أبي ربيعة فسكت وبعـد وقت كرر الطلب ، فعادوا الى ذكر عمر ، فقال علي به . ثم إن الخليفـــة اصطحب الشاعر وخلا به ساعات ، فلما رجعا قيل لعمر : بم تحدثتما ؟ فقال عمر منـــذ خرجنا لم نتحدث إلا في شؤون النساء . وفي أمريكا الآن تقوم المرأة بدور كبير في المجتمع . وحاجاتها التي لاتنتهي تؤلف قسماً عظيماً في الاقتصاد الاميركي ، ولا نريد أن نتحدث عن الازياء والعطور وأدوات الزينـة ، وانماط الحراير والجواهر واللآلىء وملايين العمـال الذين ينتجون ما ترغب فيـه المرأة في امريكا وفي غير امريكا من البلدان الأوروبيـة والشرقية .

ونلتفت الى هـذا البلد الذي نعيش فيه ، ونتأمل فيما تضمـه المتاجر من أصناف اللباس وأفنان الزينة ، ثم ننظر الى النساء رائحات غاديات يخرجن من حانوت ليدخلن في آخر ، ويشترين من هنا حاجة ومن هناك حاجة أخرى من شؤونهن ، فمن هنـــا دبوس أو شكلة أو إسورة ، أو عطر ، أو قلم الشفاه الاحمر القـاني ، أو التوتي أو العنابي أو مـا لا أدري من الالوان التي تزين الوجوه والشفاه ، وتجمل الحياة .

وأنت إذا نظرت إلى ما تأكل وتشرب وما تنفقه على ملبسك ومأكلك وقارنت بينه وبين ما تبتغيه المرأة لها ولبنيها من ألوان الترف، ومن أصناف الزينة التي تبتكرها المرأة وتبتدعها لتزين بناتك وبنيك، ولتظهر بالمظهر الجذاب، عرفت أهمية المرأة في جر النفقات وفتح باب المغريات والمسليات والمبعثرات. ومع ذلك فقل أن نهتم نحن الرجال بما تحبه النساء من أجل التخفيف عن كواهلنا، والتيسير على أنفسنا. فنحن لا نشارك في فهم هذا الزي الجديد أو ذاك الذي لم يمض على ميلاده شهور ثم انقضى أمره وذهب الى غير رجعة. إننا نجد من واجبنا أن نترفع عن هذه الأمور بوصفنا رجالاً. لأن الرجل مكلف أن يفهم الحياة التي تخصه، كأن هذه أمور لا تدخل في أخص خصائصه!! فهو يرى أن من واجبه أن يجد وأن يصل الليل بالنهار إذا أمكن حتى يحصل على المال من وجوهه ثم يقدم كل أولئك أو بعضه أو أكثره راضياً طائعاً لا يعرف كيف أنفق ولا فيم أنفق. وأنت ترى أن هذا لا يتفق مع المنطق ولكنه واقع.

يشعر الرجل حين يكدح ويكد أنه قام بواجبه، والمهم عنده أن تقوم المرأة بواجبها، وهو عندنا أن تقوم المرأة على شؤون البيت والاطفال وأن تظهر في مدى امكاناتنا.

وحواء لا تريد من آدم أن يدخل مملكتها، وإذا تجرأ ودخل اليها فينبغي

له أن يؤمن على ما تقوله المرأة لأنه يجهل ما دخل اليه ولا يعرف عنها لا قليلاً ولا كثيراً . وقد تظهر له المرأة عند ملاحظة يبديها أنه أصاب في ملاحظته وتثني على لباقته وذكائه ، فيظن أنه اصبح من الذين يشاركون في ما تحب المرأة وما تعرف . وهنا يكون قد أخطأ خطأ فاحشاً ! فان حواء لا توافقه لو أنه أصاب الحقيقة ، بل تخلق له الف سبب وسبب لتدل على أنه بعيد عن الصواب . ولقد قمت مرة في ناد من نوادينا الادبية لألقي ما يحضرني من الشعر ، فذكرت أني سألقي مقطوعة عن قلم الشفاه ، فاعترضت علي إحداهن راغبة عن ذلك وكانت تظن أني سأنزل عند رأيها ، ولا أدري ما الذي حملها على الاعتراض . لعلها ظنت أني سأندد بقلم الشفاه وبما يخلق من فتنة مجلوبة ، أو لعلها كانت تجيد الصناعة فيه ، أو لعلها كانت أكثر روعة دون أن تستعمله ، أو لعلها لم تخط في هذا الباب خطوة فلم تعرف ، أو لعلها استعجلت فخشيت أن أقع في كلامي على حقيقة اكشفها للناس . لا استطيع أن اقطع برأي في سبب من تلك الاسباب .

ولي صديق لا يستطع إلا أن يشارك في فهم ما تريده زوجه من أمورها في الملبس وما يصاحبه من أمور البهرجة والتزين ، وقد عرف عنه أنه يميل الى الأمور العملية وانه رصين ، وإنه الى ذلك كله يحتفظ بما للرجال من مظهر

ومخبر . وكنا ذات يوم في مجلس يضم سيدات وأوانس ، فأفضن في الحديث عن هذا وذاك من الالوان والاشكال . ولما حمي الوطيس شمر عن ساعديه، وتوكل على الله ونزل الى الميدان فصال وجال وطلب النزال ، فلم يرق ذلك في أعين الأوانس ونظرن اليه نظرة الاستخفاف ، بل أبدين من الاشارات والكلمات ما دل على أنهن أشفقن على تلك الرزانة والرصانة ، ثم لما لم يقف عن الكلام أسقطنه من الحساب بحجة أنه ما كان ينبغي له أن يتكلم عن هذه الأمور التي هي من شأن النساء اللواتي وقفن أنفسهن على هذه الأمور في أوقات فراغهن إن كن غير مترفات ، وفي أكثر أوقاتهن إن كن ممن نعمن بالرفاه والحياة الناعمة الرخصة .

لقد كان صديقي يتكلم بحماسة ومعرفة والأوانس لم يكن يردن له أن ينزل عن مكانه ليلتفت الى تلك الأمور التي هي من شأن النساء . ثم انهن كن يمثلن جيلاً آخر ، ونمطاً آخر من الناس ، فهن في جنون الصبا ولا حاجة لهن بالزينة المجلوبة ، وحسبهن أنهن في نضارة الفتوة وانطلاق البهجة وهن بدورهن لم يدخلن هذه الحلبة . وأكثر من ذلك فهن ينظرن الى هذه المغريات نظرة غير جدية لانهن يحملن افكاراً أخرى عن قيم الحياة فقيم الحياة عندهن لا تزال في دور المثل العليا ، ومن ذلك حبهن للاقتصاد والانكماش عن التبذير والاسراف في حاجات لا نصنعها في بلدنا ولا نعملها بأيدينا . ولعل صديقي

أدرك ما يجول في أذهانهن فلم يشأ أن يجادل مخافة أن يسيء الى السيدات ومخافة أن لا يرضي الأوانس ! ! فآثر أن يظل فيما هو فيه . وقد حدثته بعد ذلك وسألته عن اهتمامه بشؤون الزينة واللباس مما يخص المرأة . فقال ان اهتمامي به يخفف عني كثيراً من النفقات ويدلني على مواطن الجمال في كل أولئك البهرج ، وليس يجوز في عرف عاقل أن ننفق الاموال الطائلة على حاجات المرأة التي تستخدمها ساعات أو اياماً أو شهوراً ثم تطرحها دون أن نعرف عنها شيئاً ، وليس كل الناس بقادرين على هذا الترف ، وحتى لو كانوا كذلك فان من حق الوطن عليهن أن يمتنعن عن الاسراف ، ومن حقنا نحن الرجال أن نكون على شيء من العلم بهذه الاغراض ومن واجبنا ان نكون ذوقاً نفهم به شيئاً من ذلك .

ثم قال صديقي ، وانا لست ممن يقولون بمنع المرأة من الزينة ، بل انني أقول بوجوبها ، ولكني لا أريد ان تبدد المرأة ثروة الرجل وثروتها وثروة ابنائها في سبيل هذه التي تسمى بالازياء التي تتغير اكثر من الطقس ولا أغالي اذا قلت لك ان هناك مباريات بين افضلهن في افضل انواع اللباس والزينة ، وقل ان يفعل ذلك اولئك الذين ابتدعوا هذه الفنون بل ان النساء الأخريات يلبسن ابسط الملابس في اكثر الاوقات .

من شؤون آدم

بعض المجلات تكتب في عمود واحد شيئاً يخص المـــرأة وشيئاً آخر يخص الرجل وأنا أتخيل ان القارىء أو القارئة لا بد أن يمر بكلا الأمرين، لأنه يريد أن يعرف ما يخص الجنس الآخر . والقـارىء أو القـارئة في شوق لهذه المعرفة ومن هنا فشؤون آدم تتعلق بحواء وشؤون حواء تتعلق بآدم بنفس المقياس ونفس الوزن .

غـير أن الرجل لا يزال ـ كما تقول فتـــاة العصر ـ يحمل كثيراً من الأنانية الشرقية ، فهو معتد بنفسه يرى انه الأول، وان له الصدارة في كل شيء ، وفتـاة العصر لا تريد أن تفهم هذا ما دامت تستطيع أن تساويه في الأعمال الفكرية ، وتبزه في كثير من الأعمال اليدوية .

وتقديري الشخصي ان المرأة تعرف من طبيعتها ومن تاريخها الطويل في الشرق والغرب انهـا لم تكن صاحبة اليد الأولى في تصريف أمور العـالم . ولا يعني هذا انها لا تؤثر في تـاريخ الأرض تـأثيراً مباشراً كأم وزوجة وعشيقة . وانها لتعرف ان تاريخ الانسان جعل لها منزلة خاصة منفردة ولو انها لم تكن مسؤولة عن سياسة العالم حتى الآن كما انهـا لم تكن مسؤولة عن لعنة الحروب بشكل مباشر على الأقل .

وهناك أمر ثان يشغل بال فتاة العصر وهو هذا الاعتداد بالقوة والانطلاق في الحياة على النحو الذي يريده آدمنا من حيث شعوره بحب امتلاك ما ليس له من حواء ، وقل ان يتحرج أو يتـــأثم ، واولئك الذين يحصرون أنفسهم في الحب الواحـد ليسوا أكثر من غيرهم ممن يفتشون عن الفرص ، وينساقون وراء ذلك وما يماشيه من الأهواء . وهم عنـــدما ينصبون الى هذا اللون من الحياة لا يقفون ليفكروا في انهم لا يسلكون السبيل القويم ، وتراهم يتنمرون ويزأرون اذا كان الأمـر يعنيهم لأن في ذلك كارثة الدارين . فلو أنهم أخذوا أنفسهم بالأقوى ، وبما تقتضيه التقوى لما كان هناك مجال للشكوى . ومن هنـا كان هذا الاتجاه الفكري والعاطفي يناقض نفسه ، ولا يمكن أن ينسجم مع واقع الحياة . وهذا من مشاكل العصر .

وتقول فتاة العصر أيضاً انها تبتغي أن تلفت نظر آدم الى انها الآن غيرها بالأمس فهي قـد تعلمت ، وهي قد نهلت من المعين العلمي والفني الذي نهـل منه ، وانها أكثر جلداً على الدرس ومواصلة للعمل وها هي في الغرب والشرق تحتل أرفع المناصب في مختلف شؤون الحياة ، وهي لم تقصر فيما وسد اليهامن عمل عن مدى الرجل ، فهي إذن لا تقصر في ميادين الحياة عنه ولكن الفرق هو إتاحة الفرص . وهي تعرف ان مثل هذا الكلام لم يغب عن ذاكرة الرجل إلا انه منساق مع ما ألف من الحياة والاتجاه . وهي لذلك تريد أن تنبهه الى أن الزمن قـد تغير ، ومن هنـا ينبغي أن تتغير نظرته الى حواء . انه حر في أن

يظل مغمضاً عينيه مقفلاً أذنيه عن سماع الحقائق التي تدور به ويدور بها من حيث يدري ولا يدري ، ولكنه ينبغي أن يتصرف بحكمة فلا يقول بما كان يقول من قبل ان تصعد حواء هذه الدرجات العالية من المعرفة وبعد النظر .

انها تقول بصراحة يجب على الرجل أن يتخلى عن نظرته القديمة ، حتى يكون في وسعهما ان يتعاونا في خدمة الوطن ، وانه اذا لم يفعل فان الخسارة تكون على البلاد .

وفي اعتقادي ان هذا القول جدير بأن نأخذه بما يستحقه من الاعتبار فهو كلام من لب الواقع ، وآن لنا أن ننبه اليه ، ولقد كنا وما نزال وسنظل مشغولين بأمور تتناول شؤوننا الاقتصادية والسياسية ، ولكنا مع ذلك ينبغي أن نعنى بهذه الحقائق حتى نفتح أعين الشبان على واقع من واقعنا ، وقضية من أخص قضايانا .

ونحن وإن كنا نرى تحولاً في الاتجاه وتقدماً في هذا المضمار يسعى به الزمن وتسوقنا اليه الحياة ، إلا اننا ينبغي أن نشير اليه حتى لا يتعثر ، وحتى يشعر الناس شعوراً حقيقياً ، بأنهم حين ترتفع نظرتهم الى المرأة ليسوا على غير هدى . ولو شئت لقلت انهم في أمس الحاجة الى أن يفيدوا أكثر مما يفيدون ، ويفكروا أكثر مما يفكرون ، وينتجوا أكثر مما ينتجون ، وهذا يتاح لهم اذا حققوا في أنفسهم الاعتقاد بحق النصف الأجمل في حياة فكرية عاطفية أعلى وأسمى .

مجنون

قال الناس عنه مجنون ، وهو يقول أنه شجاع وأنه عاقل ، ولم يمر على جنونه شهور ، وكان قبل أن يخلع الناس عليه هذا اللقب ، شخصاً لا غبار عليه ، ولا شائبة فيه ، انسان كبقية الناس ، فيما يظهر ، يأكل ويشرب ، ويعمل في متجر ، ويتقاضى أجره الشهري ، غير أنه مولع بقراءة الصحف والمجلات، والى جانب ذلك يستمع الى كل ما يستطيع من الاذاعات ،يعرف الانجليزية معرفة سطحية ولكن اذنه حساسة تلتقط الاصوات بسهولة ، وكان زملاؤه اذا أرادوا أن يتحققوا من خبر ، أو من بيان التمسوه عنده ، لأن له ذاكرة جيدة، وقد مضى عليه سبع سنوات على خطته تلك . وكان زملاؤه يحبونه للطفه، ولكنهم اذا أرادوه على الأحاديث العادية صمت وانصرف الى عالمه الذي يعيش فيه .

هذا الشاب الذي لم يجاوز الثلاثين عاماً (ولا نقول ربيعاً ولا نقول صيفاً ان هي الا أعوام عادية تافهة) قرأ اطناناً من الجرائد والمجلات ،وقرأ قليلاً من الكتب الاجتماعية والتاريخية ، وقرأ القصص ، ولكن عقله أخذ يتركز في ناحية واحدة ،وهي : انه اذا كانت الدول القوية ، او الدول الكبرى تريد احقاق

الحق ومحق الباطل فلماذا لا تضرب الاستعمار الضربة النهائية ؟ إن الناس كلهم ، أقصد ناس الغرب الاوربي والاميريكي ، وناس الشرق الآسيوي والافريقي أصبحوا متفقين على أن الاستعمار انهو إلا مخلفات الماضي البغيض، وانـه لا يتناسب مع انسان القرن العشرين المهدد بالقنبلة الهيدروجينية ، والكوبالتية ، وما لا يحصى من أنواع المدمرات المبيدات . وقد آمن الناس ان الانسان أخو الانسان وآمن الناس ، ان الخلق كلهم عيال الله ، لكن واقع الحال ان الدول الكبرى لا تتوانى عن كل عمل وتصرف يلحق الأذى بالضعيف...

ان أبناءنا حين يولدون لا تكون لهم اي قوة ، ويكونون كلاً علنياً ، ولولا أننا نحوطهم بكل رعاية لما عاشوا، وهؤلاء أحسن الناس وأقواهم ينالهم المرض فهل نتركهم نهب الآلام لأنهم كانوا أقوياء ، فما معنى قوة الدول الكبرى ؟ انها قوة لست خيرة ، هذا هو الهذيان الذي يردده أبو أسعد . انه لم يتزوج ولم يكن له ولد ، ولكنهم هكذا كنوه وهو طفل وظل يعرف بذلك ، واعترض عليـه كثيرون وقالوا له انه سخيف ، ان القوي يأكل الضعيف ، فلا ينبغي أن يتعلق بهذه النظرية ان عليه أن يوجه جهوده وعقله الى أمور اكثر حيوية فيلعن على الاقل من كانوا سبب الكارثة العالمية في فلسطين . فكان يجيبهم ، انها جزء من كل فاسد ، انها ليست إلا مظهراً من مظاهر الحماقة البشرية، وقد وقعت الكارثة علينا نحن العرب بشكل عام ونحن الفلسطينيين العرب بشكل خاص ، انهـا جزء من كل فاسد ايها الناس . ولست جباناً ثم يبصق مرات كثيرة متوالية ،

في الواقع انه كان يخرج صوت البصقة فقط في اكثر الأحيان . ثم يقول انني شجاع . لست بالجبان أيها الناس ، وحين يسألونه عن معنى الشجاعة هذا لا يجيب بل يتركهم وشأنهم يقلبون أيديهم ويقولون ان هذا الشاب مقبل على الجنون . وواقع الامر انهم استطاعوا أن يعرفوا المدى السحيق الذي ينزلق اليه زميلهم اللطيف . وقد حاولوا أن يبعدوه عن الهوة ، إلا انهم دهشوا حين رأوه قبل أسابيع قدم استقالته من عمله ، ثم خرج يبصق ويقول انه يريد أن ينتحر من زمان ، غير انه لا يريد ان ينعت بالجبان انني كنت أود أن انتحر يأساً من حماقة الدول الكبرى . إلا أنني الآن أود أن انتحر احتقاراً ، احتقاراً ، انهم يريدون أن يدافعوا عن أنفسهم فألفوا حلف الاطلسي واتخذوا لاجله جيشاً . وهم الآن يسلطون هذا الجيش على الجزائر ومراكش التي تطلب أن تعيش كما يعيش الناس في بلادهم . كنا نسمع ونعلم أن قوياً واحداً يهاجم ضعيفاً أو اكثر ، ولكن تاريخ الانسان لا يعرف في كل حماقاته اجتماع الاقوياء كلهم على ضعيف . هذا اغراق في الظلم والحماقة .

انني كنت أومل خيراً لهذه الدول ، وخيراً للعالم . أما الآن فانني أحتقر هذا التصرف ، وأحتقر الحياة . ثم ولى راكضاً . . . وكان هذا آخر عهدهم به ، ولكن لا يفترون عن رواية قصته .

الشباب والشيخوخة

إنه في مقتبل العمر وفي تباشير الحياة ، يحلم بالمستقبل السعيد ، ويخشى أن يأتي المستقبل دون أن يكون قد اتخـذ له العدة الكافيـة من المال عصب الحياة ، إنه يحب هذا المستقبل حباً ملك عليه تفكيره وعاطفته ، فليعمل وليجد ، وليواصل العمل ، وليجمع هذا المال حتى يلقى به قابل أيامه وهو الآن يصدف عن مسرات الحياة ، بل انه ليجاهد نفسه في سبيل أن يهيء الزاد لتلك الايام ، فهو يرغب عن المصيف والمشتى ، ويرغب عن أطايب اللباس والطعام ، ويزهد في السفر والتنقل الا اذا كان ذلك في سبيل جمع المال . يفني بياض النهـار وشيء غير يسير من سواد الليل من اجل فلس يكنزه أو يتجر بـه ليجعل منه ثروة ، فهو في سباق مع آماله وهو في سباق مع الدينار فاذا فاز وأمسك به فقد رأى فيه معيناً على الحياة المقبلـة أو معيناً على زيادة أرباحـه ، فالربح والعمل والجنى كله وسيلة الى الغاية التي قيد نفسه بها . وتمضي الايام فاذا به أب لأبناء وزوج لزوجة ولكنـه مفتون بذلك المجهول الذي سيبلغـه في يوم من الايام ، ويتخذ الشيب الى فوديه السبيل ، وتتضاءل مرونة عضلاته ويدب الكلال في

أمعائه، فيستمع الى قائل يقول هذا هو الحلم السعيد، وهذا هو اليوم الموعود، غير أنه لا يبالي بالناصح الشفيق ، فيتطبب من مرضه دون أن يرتاح ويظل على انغماره في عمله ظناً منه أنه لم يبلغ الغاية، غير أنه يجد أمره مع هذا الاجير (الجسم) الذي استخدمه خمسين عاماً أو أزيد قد اختلف اختلافاً كبيراً فأصبح هذا الخادم يطلب حقوقه من الراحة والاستجمام، ويطلب الى جانب ذلك ما جناه في أيام القوة، لينفقه على تسكين الآلام، فيكون الانفاق ولا تكون الهناءة ولا تسكن الآلام لأن مصادرها في ازدياد.

ذلك هو حال كثير الناس مع ما يكنزون ومع المستقبل المضمون.



ايمان الناس

دمرت الحرب المانيا ، فآمن الالمان بالدمار وآمنوا بالهزيمة ، ولكنهم لم يكفروا بأنفسهم من حيث قدرتهم على إعادة المهدوم ورفع البناء فشادوها من جديد . وساروا في سبيل استكمال السيـــادة في نفس الوقت الذي لم تكف ايديهم عن العمل .

وانتهت الحرب العظمى الأولى بانتفاضن العرب ، وبارتكاس الآمال ، وأعقب ذلك نضال ، وأعقب ذلك تحرق طي القيود ، وخرجنا من الحرب الثانية، لنستقبل عهداً جديداً من النضال والبناء ، معتقدين أننا انتفعنا بتجارب الماضي ، واثقين أننا سنخرج الى ميدان جديد أكثر قوة وأوفر حكمة ، وبضربة واحدة (على أنها ضربة لئيمة تحمل كل معاني الجور والظلم والطغيان المبتكر) رأينا أننا لسنا احكم ولا اعلم مما كنا في ايامنا الخوالي . ان ما يدور بنا الآن أقوى شكيمة وأقسى وأدهى مما كان قبل الآن ، غير أننا في أثناء مكافحة الظلم أدركنا سعة حيلته وشدة جبروته فراعنا هـــذا كله وبهر أبصارنا ، فظهر كأن شيوخ السياسة عندنا قد تطور ايمانهم تبعاً لمقتضيات الظروف والاحوال .

فاتخذوا الالفـــاظ سلاحاً لهم يقضون به على ما يقوم في نفوس الناس من مخاوف وحسرات . وظنوا أنهم بهـــذا المخدر الجديد قـد قضوا على الآلام والجراح النفارة . وتعود الناس على المخدر فذهب الغرض منه ، ولم يعد يفيد على تنوع أشكاله وألوانه . ان الناس حين تقوم أمامهم حاجتهم الحقيقية أو مصلحتهم الذاتيـة لا يدورون ولا يلفون ، ومهما حاولنا أن ندور بهم فـانهم يظلون في مكانهم ولا يتزحزحون عن مصلحتهم . انهم هنـــا لا يهربون من الواقع . انهم يعيشون في الماضي ولكنهم يعيشون في الحاضر أيضاً فلايستطيع أقلهم اهتماماً بواقعه أن ينسى أنه خسر بيته أو بستانه ، ومرابع صباه ، ومقابر آبائه واجداده، ولا يستطيع أن ينسى الجو الذي غـــذاه . ان كل فلسفات التاريخ تعجز عن اقتلاع هذه المحبة القائمة على أسس واقعية من نفوس الناس . وأين هو المنطق الذي يقوم أمام هذا الحق الابلج ؟ ان السياسة قد خلعتهم من مهوى افئدتهم ومصدر رزقهم ، وكانت قادرة على ذلك ، ولكنها أعجز من أن تنسيهم أن هذا ظلم أسود قبيح اللون والشكل والطعم .

ان الناس بحاجة الى زاد من التصميم والعزم ، وبحاجـــة حقيقية الى خطوات حكيمة ، تنقذهم مما يقوم في انفسهم من الشك والقلق والضيم والحقد ان الناس كلهم يريدون أمثولة جديدة تشد أواصر القربى على نمط يدعمه اليقين . انهم موقنون بحقهم ، وغير موقنين بمخدرهم مهما كان نوع المخدر .

عندما صمم

قالت له لم يحن الوقت،انني اقدر هذه العاطفة الثرة ، وهذا الوجدالحبيس. وأحب ان أنوه باني انسانة تحس وعندي الخيال والشعور المرهف ، غير أن هناك أموراً تحتاج في رأيي ان تتم قبل ان اقول كلمة الفصل في الزواج .

وكان يستمع الى كلامها بوجه محتقن ، وينظر اليها بعينين زائغتين ، لقد مضى عليه عام وهو يفكر ، انها ليست الفتاة التي يحلم بها ، ثم أنه بعد ان نفض يده من تلك التي مال قلبها الى الشيب المموه بالذهب ، وارتكست آماله فيها عزم ان يظل دون شريك من هذا الجنس الذي يسمى لطيفاً .

واتفق ان لقي سناء وعرفت ما حز في قلبه ، وما جرح شعوره فمسحت على جراحه ، وخففت من وطأة المصيبة عليه فاطمأن لها وشعر نحوها باحترام. نعم شعر باحترام لهذه الفتاة العادية في دنيا الجمال ، وانها لمن الفتيات اللواتي يعشن شبابهن دون ان ترن في آذانهن كلمات الثناء على جمالهن بحيث تنفذ الى قلوبهن فتستقر هناك برداً وسلاماً .

وكان عبد الله قد أنس بها ونعم بتهذيبها وحديثها الرطب الناعم الذي تحس وانت تسمعه بجو الزهر العبق ، ومكثا سنة يجتمعان في العطل المدرسية

وفي أيام الاعياد ، اذ كانت تعلم في نفس البلد التي يعلم فيها . وفي أيام الصيف كانت تختار « حمانا » وتأنس بواديها فاتخذتها مصيفاً ، وقد شهدت حمانا أول لقاء بينهما ، وكان اللقاء عند الشلال الصغير الذي ينحدر متكسراً متناثراً على الصخور ، وها هي الآن تحدثه في الفالوغا القريبة من حمانا ، في المقهى الذي يظلله الصنوبر ، ويترقرق فيه الماء العذب الصافي الذي يلذ شاربه وناظره وسامعه.

ان سناء لم تقل كلمتها ، وعبد الله يعلم أن قلبها غير مشغول بسواه، ولا هي تطمع في أفضل منه وهي تدنو ان تكون عانساً ، وهي من اسرة فقيرة ، وليس هو بذي يسار ، إلا أنه يعلم ما هو عليه من نضارة الفتوة ، وما يتمتع به من تقدير ومحبة ، انه مدرس ناجح ، وقد كلفوه بالادارة اكثر من مرة ومال عنها اعتقاداً منه انه يجب ان لا تصرفه الشؤون الادارية عن متابعة الدرس . انه يهيء نفسه لمستقبل عظيم ، ومع ذلك فان سناء لا تريد ان تبت في زواجه منها . انها ولا ريب تخفي سراً دفيناً .

إن المرأة بحر لا يسبر غوره ، غير انه لا بد أن يجرب حظه مرة اخرى وان يشرح لها ما مس قلبه من الحب . ومرة اخرى قال لها : أرجو أن اسمع منك اذا كنت ترغبين ان نكون إلفين نسير معاً في سبيل الحياة . واعلمي يا سناء انك اذا لم تستجيبي لندائي اعتبرت انك لا تحبيني ، وكان يريد ان يسترسل في الحديث ، إلا أنها لم تتمالك حين سمعت آخر كلمة ، أن بكت ، بدمع

منهمر ، حتى لقد جنبت ثيابها تلك الدموع المتدفقة ، ولقد سمع عن الدموع الحرار والدموع الغزيرة ، إلا أنه لم يعرف دموعاً أكثر غزارة من تلك التي أسالتها سناء ، ولولا أنها كفكفت من غربها لبكى هو أيضاً .

وكانا بعيدين عن الناس ، ولم يكن المقهى ، مقهى الفالوغا ، مزدحماً بل أن عبد الله حين التفت حواليه لم يجد إلا القليل من الرواد متناثرين هنا وهناك ، وأقبل الخادم ، فطلب فنجانين من القهوة ، ومسحت سناء جفنيها بمنديلها ذي اللون الهوائي ، ثم شربت كأساً من الماء ، واحتست القهوة . أما صاحبها فقد حار في امرها . ولم يشأ أن يزيد على ما قال شيئاً مخافة أن يؤذيها ، فتعود ثانية الى ما كانت فيه .

وأما سناء فقد كانت تنتظر أن يعاود الكلام ويكرره ويبوح بالحب غير أنه لم يفعل ، ولكنه قال في نفسه : لا ينبغي ان ادخل الى حرم عواطفها فذلك لا يجوز ، ولا ينبغي فهي أكرم عندي وأنا اكرم عند نفسي من أن اتخذ من حبي لها وسيلة لتعذيبها .

وراحا يجتمعان كل يوم : مرة يكونان منفردين وتارة مع جمع من الفتيات والفتيان يعبثان ويضحكان كباقي الناس ويظل في قلبيهما سر محير . أما هو فكان يسعى في اكتشافه ، ومن هنا كان عذابه شديداً ، فهو أبداً يفتش عن حل لهذا المعمى الذي استغلق ، وأما هي فقد كانت تعرف السر ولذلك

فقد كان عذابها أشد، ولطالما ناجت نفسها :ما الذي منعني من اجابته الى رغبته؟ انني لم أتدله بحبه، ولا قصدت أن انصب له الشراك. ألا يجوز أنه مغرم بي حقاً ؟ إنه اذا كان كذلك فما الذي يمنعه من العودة الى الكلام ؟ انه مغفل، ما في ذلك ريب، ولم تنفعه قراءته. ولكن ماذا يقرأ ؟ انه مغرم بالكيميـــاء والرموز التي لا تنتهي. ليته من قراء القصص اذن لعرف انـــه يؤذيني أشد الايذاء حين لا يكلمني بالموضوع الذي بدأه...

أي قلب هذا الذي تحجر في جنبي ؟ بل أي فكرة شيطانية ملكت على ارادتي القوية. انها ارادة قوية الا في هذا المجال، لقد أضعت الفرصة. انني أحب كل شيء في هذا الفتى. من قال ان به نقصاً ؟

انني أحبه في كل حال، غير أنه في دنيا القلوب يتصرف تصرف المعلم في تلقين الدروس. أنا اريده مولهاً مدلهاً أو العزوبة. لست أرضى بهذا العرض البسيط، لست انا.

وانقضى الصيف وافترقا. وجاءت النكبة البكر التي صاغها العالم المتمدن ايذاناً بانقضاء عهد الخلق في دنيا السياسة الحديثة، وانقطعا عن اللقاء. أما هو فقد عمل معلماً في الكويت. وأما هي فقد تنقلت في الاردن وليبيا. وهكذا حتى كان صيف اربع وخمسين وتسعمئة والف، فالتقيا فجأة في نفس المقهى فكان سلامهما حاراً وجلسا يتحدثان عن مطارح النوى، وشتات القوى ومـا

صنع الوجد وما لم يصنع . ثم قالت سناء : كأنا يا بدر لا رحنا ولا جينا .فقال، عبد الله : ولكن ألا ترين الى هذا الشيب الذي وخط رأسي ؟

قالت ولكنه شيب الشباب ، ولا عليك . فتأملها ملياً ورأى انها لم تنقص ولم تزد .ولم ينس البكاء في تلك الجلسة التي ظن معها أن سناء قد بكت فيهاحتى انها حين اكرهت على الخروج من بلدها لم تجد دمعاً تذرفه . فقال أو تذكرين جلستنا هنا ؟ فتبسمت ابتسامة تحمل معاني كثيرة حار في أمرها ثم قال لم أزل عـــلى عهدي فما قولك ؟ فقالت لم أفهم ما تقصد . قال اني أحبك وينبغي أن اعرف رأيك بصراحة لانني اريد أن اقف على السر . انك من أبرع الناس في الحديث . أما هنا فتصمتين . تكلمي ان صمتك قد آذاني . هل لك رأي آخر؟ انني اريد كلاماً . لا دموعاً .

فحشدت سناء شجاعتها وقالت : هل أنت جاد ؟ فأمسك بكفها وضغط عليها . وخرجا من المقهى ومشيا معاً وظلت يدها في يده . . .

أنفسنا الشكوكية

كانت سلطة الكنيسة عظيمة في القرون الوسطى . وكانت تتغلغل فى كل شيء من شؤون الحياة اليومية . ومن هنا كان النـاس ينظرون لكل شيء من خلال أوامر الكنيسة ونواهيها دون أن يعملوا عقولهم في أي شيء . وتحت هذا التأثير وتحت هذا النفوذ استكانت العقول الى الخمول .

ومعنى هذا أن العصور الوسطى تميزت بطـابع التسليم والاستسلام الى أقوال الكنيسة . وان الناس حرموا على أنفسهم حق تمحيص الحقائق . ثم كان ما كان من النهضة الاوروبية والطريقة العلميـة والاختراعات . وجاء رجـال العصر الحديث فنظروا في أسباب اليقظـة . فوجدوا أن أول بواعثها هو قول « بيتر أبلارد » الشك بدء الحكمـة أو استعمال العقل فيما يعرض عليه مهما كان الانسان الذي يعرض .

ولسنا نحن العرب بدعاً من الناس . فقد تعلمنا أن نشك قبل بيتر أبلارد لقد علمتنا الصحراء الحذر . وعلمنا خصب بلادنا الحـذر . وعلمنا موقعها الجغرافي وما يؤثر فيه من السياسات الحذر والشك .

ومن أجل ذلك فان من المناسب توضيحاً لهذا التعميم أن نستعيد على الذهن نقطة انطلاقنا في التاريخ وشعورنا بكياننا العربي. لقد انطلقنا نبني الممالك ونشيد المدنية بالاسلام. وواضح أن هذا الانطلاق اتسع حتى ضم شمال افريقيا وشيئاً من اوروبا وجزءاً حسناً من آسيا الى أن وقف على حدود الصين. ثم ما زال النفوذ السياسي يتغلغل حتى ذهبت معالمه سنة ١٥١٧ حين احتل العثمانيون البلاد العربية وحين انتقلت كما قيل الخلافة اليهم. وران على الشرقين الاوسط والادنى ذلك الحكم الذي عاد بالناس الى تفكير القرون الوسطى. لأن الانطلاق العثماني اعتمد على السيف والحصان في الانسياح والاكتساح، ولم يعتمد على العلم، وكانت في اوربا هزات الحروب الدينية وثورة برونو وجاليلو وكوبرنيكس وسواهم، ونشأت في اوربا الجامعات، وترعرعت وازدهرت وآتت أكلها وظل العثمانيون يغطون في الاحلام، وكنا معهم في أحلام من أعجب الاحلام، وكنا قد استسلمنا الى أن بلادنا هي هي لم تتغير، ولم يكن هنالك من أمر يدعونا للقلق ما دام العثمانيون لم يضارونا في عقائدنا ولم يضارونا في كثير من الاوهام والخرافات التي تحدرت الينا من عصور الضعف السياسي منذ هرون الرشيد والمتوكل الاول.

ولا ريب أن عنصر العروبة كان يشعر بالضيق في تلك الازمان العصيبة وكان يحس بالألم وكان يذيبه الألم، وكان ينتفض في تلك العصور فلم تفلح

انتفاضاته . وكان الاخفاق يربي في النفوس الشك في امكان الاصلاح . وكان الاصلاح يتباعد كلما امتـد الزمن . وكان سوء الولاة واستبدادهم والحروب الموضعيـة تضيف الى النفوس شكوكاً أخرى . فلجأوا الى الاوهـام والرقى ليتخلصوا من ضغط حاضرهم المر . ولا ريب أن أوهـامهم ورقـاهم لم تكن تنجيهم من كوارث الاحداث وهول الايام . ومن هنا أيضاً كان يزداد شكهم ويزداد ظلاماً ليلهم . وما كانت أي بشرى تحرك من نفوسهم أو تخفف ماران عليها من الشك والوهم . وأصبحوا لا يثقون إلا بالنجاح إذا ولد كاملاً مبرءاً من العيوب ، واضحاً وضوح الشمس . ونسوا أن تاريخ كل نجـــاح في أي ميـدان من ميادين الحياة يبـدأ بنواة تنمو وتتضخم حتى تكون نجاحاً طيب الثمر ولا أقول أن الشك مقصور على العرب وحدهم . فالشك عنصر أصيل في النفس الانسانية فكل جديد يبهر الناس وينفي عنهم وهماً من الاوهام التي ألفوها ، أو يقلقل حالة عرفوها واطمأنوا اليها يبعث فيهم الشك . وخذ هـذا المثل الاجنبي يدلك على الشك العميق « لا شيء ينجح كالنجاح » فانه يقدس النجاح متى تم .

غير أن ظروفنا السياسية والاجتماعية في الحاضر والماضي ، جعلتنا في رأيي من أكثر الناس شكاً . حتى أننا لا نكاد نسمع فكرة جديدة . أو لا نكاد ندعى الى مشروع من المشاريع الجديدة حتى ننصب بيننا وبينه حجاباً من الشك والحذر

والخوف ونبدأ في تعليل الاخفـاق . ونطمئن الى أن الاخفاق هو الشيء الذي لا بد منه لما عرض علينـــا . فاذا مرت الايام وبدرت بوادر النجاح كنا الى الانكار أميل وإلى التشنيع عليه أقرب . وقد تلج بنا الاوهام وقد تزج بنــا المخاوف المستقرة فتغمض العيون عما ترى ونستسلم الى أن مـا نراه ضرب من البـاطل الذي لا نعرف له تفسيراً . ذلك هو واقعنـا في كثير من أمورنا . ولكن أصـل الشك في الأمور يجب أن ينصب عـلى شكل آخر . يجب أن نظر الى الامر من نواحيه المتعددة . دون أن يكون هناك تأثر بحسنه الظاهر أو قبحه البارز . فيجب أن نرى ما له وما عليه . والحق أنه ليس في هذا الكلام الاخير شيء جديد . بل هو من الاشياء المألوفة التي نسمعها في كل مـكان غير أن من الحق أن نقول أننا رغم كل ذلك لا نهتم بالتقيد بهـــا ، ذلك بأن الهزات التي امتلأ بها تاريخ الأمة منذ نيف والف عام أعمق بكثير من المسحة العلمية التي اصطبغنا بها في مدة (مهما بالغنا فيها) لا تعدو قرناً من الزمان .

والذي يدفعني الى التنبيه الى خطرهذه الآفة هو أننا أبداً في خوف وشك وحذر من كل جديد ومن كل خطوة عملية في أي ميدان من ميادين الحياة . فنحن نكيل المطاعن والتهم كيلاً دون ما تبصر . ذلك بأن أخطاءنا الماضية في الشك كانت قليلة . واصاباتنا بحسن الظن كانت أبداً قليلة ! . ومن هنا نلجأ الى

الجانب المظلم وتتنكب عن الجانب المضيء للأمور. وليس بخاف أن كثيراً من الفرص الطيبة في النواحي البعيدة الاثر في كيان الأمة كانت تفوت بسبب هذا الشك الاسود . وبسبب أن هناك طرفاً آخر أو أطرافاً أخرى من الدعايات والاضاليل التي تبث بحنكة ودهاء لاستغلال هذه الناحية من اتجاهاتنا النفسية . . .

وفي ملتي واعتقادي أن الناس بحاجة الى أن يشكوا في هذا الشك وأن يقلعوا عن هذا الخوف والتخوف . بل أن من واجبنا أن نربي في انفسنا الثقة بأنفسنا وبعقولنا فلا نساق مع الهوى ومع هذا الاتجاه الذي يشوه جمال العقل ويهون من شأنه .

أنا لا أقول بأن واجب الناس أن يعيشوا دون ما شك في ما يأخذون وما يذرون فان ما قاله أبلارد يظل صحيحاً . وينبغي أن نقتل الأمور درساً وشكاً قبل أن نصدر عن الحكم أو الايمان في أمور الحياة .

ان العرب في يومهم الحاضر مكرهون على أن يفلسفوا الأمور لما يكتنف حياتهم في الداخل والخارج من التناحر . ولكن من الضروري أن تكون فكرة البناء والانعتاق من ربقة الخوف الشعلة المقدسة التي تنير لهم الطريق .

ان اتساع رقعة البلاد العربية والبلاد الموالية التي تدين بولائها للعرب لا تزال كما كانت . وان الناس في هذه الديار يشعرون بالمودة بعضهم لبعض . وان عقليتهم أخـذت تتحرر من كثير من الخرافات والاوهـــام . وأخذت الاضواء تتسلط عليهم . فواجبهم أن يعرفوا ان قوتهم في اطراح الغم والكآبة التي خلفتها الشكوك الماضية في عهود الضعف والانحلال والشكوك الحاضرة بفعل الأضواء .

ان ايماننا الحي بقوتنا وبامكان تقدمنا وثقتنا بعقولنا هي التي تمكن لنـا في داخلنا وخارجنا وسوف تجعلنا قادرين على التخلص من المخاوف والشكوك وسوء الظن الذي هو من أسمى الفطن .

ان من واجبنا أن ندعو الى الحسن اذا توفرت اكثر الأدلة على حسنه ومن واجبنا أن نحمل على القبيح اذا توافرت أكثر الأدلة على قبحه . ولا ريب أن كل دائرة من دوائر الاختصاص في مجتمعنا هي المكلفة بما يكون في حياتنا . ولا ريب أيضاً أن كثيرين يقولون أن هـــذا واضح لا حاجة للتدليل عليه . ولكننا اذا نظرنا الى ما يؤرقنا ويعنينا وجدنا أننا انما اتينا من هنا بما هو كائن من الفوضى في التفاسير والشروح من أدعيـاء المعرفـة في كل فرع من فروع الحياة . وما هم من ذلك بسبب .

المحبة والعظمة

يغلب على ظني أنه ما من احـــد يعرف حافظ ابراهيم إلا ويحبه محبة الصديق ، وسر هذه المحبة التي شاعت بين الناس الذين عرفوه من قريب ومن بعيد ، انه دان من قلوبهم وهم يشعرون أنه منهم ، وهم يذكرون كيف نـادى خليل مطران الى المقهى ليشرب معه فنجاناً من القهوة ، ثم لما تبين أن الخليل مثله خاوي الوفاض ، لا يملك فلساً رهنه في المقهى وانصرف يفتش عن شوقي حتى يفك الرهن ، وهم حين تخطر لهم هذه الحكاية يبتسمون لهذه الظرافة ، ويجدون فيها شيئاً حلواً كالعسل خفيفاً كنسائم الصيف الوسنى ، في رام الله ، أو في جبال لبنان ويجدون أن هـــذا انسان مثلهم فيحبونه كصديق ويحبون شعره . وهذا شوقي الذي ولد في أحضان النعم ، وكان شاعراً لم تعرف العربية مثله منذ عصور طويلة ، يجله النـــاس كلهم ويحبونه ، غير أنهم يرون حافظاً أقرب اليهم ، ومن هنا تعصبوا له وآثروه ، وانت تذكر المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، غير أنه لم ينعم بمحبتهم ، فعـــاش عيشاً نكداً وان كان أعظم الشعراء ، بل أن عبقريته لم تشفع له في دفع كره الناس له .

وانت حين تقرأ عن العظماء أو تقرأ لهم تحب نقـــائصهم ، ويكونون أقرب الى روحك كلما أطلعوك على جانب من نفوسهم ، وأعود الى ذكر المازني الذي جعل من نفسه كل شيء يسرك ويشعرك أنك لا تقترف الحماقة التي يدعي أنه وقع فيها ! ! واكثر من ذلك فاننا حين نتكلم عن أحبائنا وأصدقائنا فاننا نسرد نكاتهم ، وما وقعوا فيـه من الأمور المضحكـة ، لا للتندر عليهم بل لنسر أنفسنا ونسر الناس بما قالوه أو فعلوه . قالوا عن ابراهام لنكولن أنه كان ظريفاً رقيقاً الى جانب قوة شخصيته وعظمتـه ، وقالوا أنه كان في طريقـه الى استعراض فلقيه رجل من الناس وأخذ يحدثه ويمشي معـــه ، فلما اقترب لنكولن من المكان قال للرجل البسيط أرجو أن أتقـــدم عليك حتى يعرف الناس أنني ابراهام لنكولن !

ونحن في الحيـاة نحب الناس الذين لا يتكلفون الفصاحة والبلاغـة ولا يدعون الكمال بتصرفاتهم وحـــديثهم ومظهرهم ، بل ننفر من هؤلاء واذا ازدادوا في تكلفهم ازددنا نفرة منهم ومقتاً لهم ، وليس أحب الى الناس من الانسان الذي لا يتصنع ، وليس أبغض عندهم ولا أبعد من قلوبهم من ذلك الذي لا يحدثك الا بمقدار ، ولا يصافحك إلا بميزان ، ولا يظهر فرحـــه وحزنه الا بميزان مخافة ظهور النقص ومخافة أن يجرح ذلك شخصيتـه ، فهو

يعتقد أن هذه المظاهر تجعله اكثر احتراماً عند الناس ، وقد ينـــال الاحترام مقروناً بالنفور ، غير أنه لا ينال مودتهم ولا ينزلونه ساحـــة قلوبهم ، وهم لو أرادوا ذلك لما استطاعوا . فهو ابداً يريد أن يكون حـــذراً يقظاً لا تمزج شخصيته بغيره . ويمتاز هؤلاء الناس بأنهم لا يقبلون النكته على أنفسهم ، وهم بدورهم لا يجعلون نكاتهم ـ اذا تنازلوا وصنعوا نكتـــة في السنة ـ تدور على غيرهم مخافة أن يجرأ الغير عليهم ، فيظلون غرباء على الارض لا يعرفون إلا أنفسهم ، التي لا يجدون فيها أو في مصاحبتهامرحاً ولا فرحاً ، ومن هنا تزداد نقمتهم عـلى الغير ، ولمـا كان من طبيعتهم أنهم لا يألفون ولا يؤلفون فهم لا يعمدون الى ايذاء الغير في العلن بل يعمدون الى الدس والوقيعة والاختلاق ، ويصوغون كل أولئك في قالب محكم حتى ليخيل الى الذي لا يعرف طبيعـة هذا الصنف من الناس أنهم يقولون الحق ، أو يفتشون عنه ، وهم أقدر الناس على خداع الناس ، لأنهم بعيدون عنهم في كل شيء .

وهم غير قادرين على الخروج من هـذا الضيق وهذا الحرج الذي وضعوا أنفسهم فيه ، لو أرادوا ، فهم كلما حاولوا الدنو من الناس ردهم سوء ظنهم ، ومنعهم جهلهم وتفزز أعصابهم وخوفهم على الكمـال ، ولم يعلموا أن هـــذا الكمال قد تمرغ في التراب ، وانه عاد أقبح من كـل الهنات والهفوات ، التي

يقترفها الناس ، والتى لا معدى لهم عن الوقوع فيها . انني أحب هذه الهنـات ، وهذه النقائص في العظماء والناس العاديين ، وأشعر أنني أعيش مع الاحيـاء والأموات من هؤلاء الذين يحبون نقائصهم ، ويحيون حياة طبيعية فيها الكرم وفيها النبل والشهامة الى جانب السخافة ، وفيها العبقرية والأصالة الى جـانب الطفولة والبساطة ، والشعور المنسرح الفياض ، وأشعر أنهم بشر مثلي يخطئون ويصيبون ، فيما يأخـذون ويـذرون وأما أولئك الذين أقفلوا قلوبهم ، وقيدوا حركاتهم وسكناتهم ، فلا يأتون في الظاهر إلا ما هو منطقي ، سعياً وراءتقدير الناس لهم ، لا إرضاء للخلق فاني رغم كـل شيء ، امقتهم ، نعم رغم كـل ما أقنع به نفسي من وجوب الشفقة عليهم والرثاء لهم ، أجدني مكرهاعلى مقتهم لأنهم يسعون في مضرة الناس من حيث يشعرون ولا يشعرون .

ومقياس مقدرتي ومقدرة أي انسان سوي على التسامح ينبغي ان يكون محبة الناس . و كل من كان غير قادر على محبة الناس يجب ان يرهب جانبه وان يمقت أشد المقت ، لاننا بذلك نثبت محبتنا لانفسنا وللناس .

التفسير والتأويل

تيسر العلم للناس فاصبح في متناول الكثيرين ، وأصبح الكتاب اكثر من ان يحصوا في أبواب العلم والمعرفة ، وكان حظ الأدب عظيماً من التيسير أيضاً.

وبات من السهل على ذوي الاختصاص في العلوم أن يعرفوا الخبيث من الطيب فيفندوا الخطأ العلمي بسهولة ، وبذلك يشرق وجه الحق دون عناء .

غير انه من العسير ان يظهر وجه الصواب في الاجتماع والآداب بهذه السهولة ، بل لا بد أن يكثر من أجل ذلك القيل والقال فيمنى الناس بالبلبلة ، ومن هنا يتاح لذوي القلوب المريضة ، والنفوس الضعيفة من حملة الأقلام ان يقولوا ما يعرفون وما لا يعرفون ابتغاء الكسب فيضلوا بما يكتبون ، ويؤذوا بما يفترون . وهؤلاء أخطر أنواع الناس واكثرهم بعداً من الله . ومتى عرفهم الناس وأدركوا حقيقتهم فقد باءوا بخسران عظيم . ولكن كيف يرضى هؤلاء بهذا المصير ؟ وما الذي يسوقهم اليه ، والانسان مفطور على تقديس كرامته ويجاهد بما لديه من قوة حتى يظهر أمام الناس وامام نفسه كريماً ، فلا بد له اذن من مسوغ ، فكيف يكون ذلك !؟

انه يبدأ أول ما يبدأ باقناع نفسه ، قبل أن يباشر العمل فهو يقول لها: انني

احب بلادي وأحب الناس ما في ذلك شك . وكلا الامرين من الامور التي لا تحتاج الى جدل ، وهذا الذي أنا في سبيل الاقـدام عليـه لا يضر الناس ، أو . . . قد يكون سبباً غير مباشر في الحاق الأذى . فما لي ولهذا المأزق الحرج، ينبغي ان يظل الانسان مرفوع الرأس ، وتمر الساعات أو الأيام أو الشهور فاذا هو قد دار برأسه كثير من ألوان التفكير ، واجتاحت نفسه الوان من الشهوات ، واستهوتها المغريات . فيكون الدور الثاني دور الصراع . وقد يدوم طويلاً أو قليلاً ، ولكنه اذا انتهى الى ما لا يحمد قال لنفسه: لقد بالغت في تصور الأذى ، ان زيداً قد صنع اضعاف اضعافه وعمروا رجل لم ينله هوان مع أنه لطخ كلتا يديه ، بل أنه مرموق موصول وفي الامكان ان يفعل غيري ما أفعله . بل انه اذا فعله تبرع وزاد عليه فالحق بالنـاس المكاره . أما أنا فانني سوف لا أنزلق الى هذا المدى السحيق، انني ولا ريب سأكون اكثر احتياطاً ،بل سأكون مفيداً للناس . . . يجب ان لا افوت على نفسي فرصة الخدمة ! !

وانت ترى ان هذا المغطس غير مقصور على فئة دون اخرى بل انه مبثوث في سبل الحياة . فاذا أقنع أحدهم نفسه فقد اخترط الظلماء وذهب مع ريح صرصر عاتية .

انه بدأ بالتعليل والتفسير وهو زاده في طريقه ، ولكنه ما أن يتوسط الطريق

وما ان يكون في التيار حتى يعترضه الرأي العام ، أو يعترضه الخصوم ـ على حد تعبيره ـ اولئك الذين يكرهون النجاح فيكيل لهم ويكيلون له ، وقد يستجيب الناس لمن قارعوه ويتألبون عليه فماذا يفعل ؟ انه واثق انه قصد الخير ، ولم يخط خطوة واحدة قبل ان يعتقد انه مصيب ، باعتبار أنه افضل من غيره في التخفيف عن الناس . لقد أراد بعمله ان يخدمهم وان يدفع بهم عن الهوة الى الحفرة اليسيرة . . ! انه انقذهم وجعلهم في منجاة . أيكون حظه منهم هذا الاعراض وهذا الانقضاض ؟ أيكون جزاؤه منهم هذا السباب وهذا المآب ؟ لا . وألف لا . انه لا يحتمل منهم هذا وان واجبه ان يثأر لكرامته لانهم لا يريدون أن يجدوا رجلاً يدفع الضرر بما في الامكان وهم لا يقدرون الظروف ، ولا يريدون ان يفهموا انه واقف بالمرصاد لكل ما يمسهم من قريب او بعيد ،وهو الذي وقف نفسه على خدمتهم . ثم انهم من قبل ومن بعد لم يأخذوا بيده الى سلم النجاح . انه افترع المعالي وحده بالجهد والعرق فمن حقه بوصفه مفكراً يعرف اكثر من خصومه ويعرف اكثر من الناس أن يظل دائباً فيما أخذ به نفسه ، وقد يشتد به الحال فيعتزم الانتقام .

وهذا دور خطير بالقياس الى الدور الذي سبقه ، انه الدور الذي يبلغ فيه الصراع ذروته . انه صراع عنيف بين الكرامة الفطرية والمبادىء السليمة الطبيعية وبين هذا الجو الذي زج بنفسه فيه . وعلى قدر المغريات ، وعلى قدر ما

يكون له أو يحف به من قرناء السوء وعلى قدر قوة الشخصية يدور الصراع النفسي ، فاذا تغلب جانب الخير فقد تاب وأناب، وقليل هم . واذا تغلب جانب الشر فقد هوى صاحبه الى نهاية الهوة ، وهنا تتحطم الشخصية وينهدم الضمير ويظل في بحران قبيح لما يشعر به ، درى أو لم يدر ، من ارتكاس وانتكاس ، وابتعاد عن تقدير الناس واقتراب من كرههم . واني لاتخيل انه يعيش في جو كهربائي مسموم يضيق عليه أنفاسه فيحاول بما آتاه الشيطان ان يغرق في الملذات ويلف نفسه بالمسليات ويصطنع الاصدقاء الذين هم على مثاله وهؤلاء لا يقصرون في الثناء على ذكائه بل يمعنون في الدجل والنفاق ويزينون له ان الناس يدعون له بطول العمر ودوام العز لأن في ذلك مسرة لهم وفائدة تدق عن الوصف ، وهو يتظاهر بانه راض عما يقولون مؤمن بما يفترون ، ويحاول حين ينقلون اليه هذه الاكاذيب ان يؤول اعماله ويفسر آثامه تفسيراً يتفق مع هذا الذي يسكبونه في مسمعيه ، فاذا خلا بنفسه واستيقظت البقية الباقية من وجدانه فقد تنكر لكل شيء وشعر بالخزي والعار، وانغمر في نوبة سوداء تضيق فيها الدنيا وتسود آفاقها . ثم يخرج منها ليدخل في غمرات اخرى من النفاق والاطراء وعمل الخير واقتراف الشر . ولا يزال كذلك أو في سبيل ذلك، حتى تنزاح الحدود في نفسه بين الحلال والحرام .

طاغور

هنـاك على حقول الأرز الخضراء والصفراء تمر ظلال غيوم الخريف ، تتبعها الشمس وتطاردها بسرعة .

والنحل قد نسي أن يرتشف رحيقه ، فقد أثمله الفرح بالنور والضيـاء فراح يحوم ويهزج .

والبط في جزائر النهر يصرخ صراخ الفرح فقط من أجل لا شيء .

أيها الاخوان ، لا يذهبن احـد الى بيته في هـذا الصباح ولا يذهبن أحد الى عمله .

نعم أيها الاخوان فلننهب الارض ركضاً ولنملأ الجو والسماء الزرقـاء بالضوضاء .

ان الضحك ليطفو في الهواء كما يطفو الزبد على الماء أثناء الفيضـان ، فيا أيها الاخوان تعالوا نبعثر هذا الصباح بالأغاني التي لا طائل تحتها .

الحج

تنادوا من الشرق البعيد الى منى ... الى موئل الآمال في عرفات
من الغرب من أقصى الجنوب تعاهدوا ... على حج بيت الله والعمرات
شيوخاً وشباناً وانضاء نسوة ... وانضاء فقر في أولى عزمات
مشاة وركباناً على البر قد سعوا ... وفي البحر قد قاموا على الصلوات
يحجون للبيت العتيق فريضة ... وشوقاً يبل العين بالعبرات
فتلك ديار المصطفى قد بدت لهم ... مشعشعة الانوار في الظلمات
يحثهم شوق ويسعدهم هوى ... فلا يجدون الأين في الفلوات
ولو وجدوه كان بعض مناهم ... فحبهم يزداد بالعقبات
ومن لم يحقق عمره وجد قلبه ... يظل أسيفاً دامي الصبوات
هناك على عرفات يافرحة التقى ... ويانشوة الآمال والدعوات
إلهي وقد حققت حلو رجائنا ... فانا شهدنا الحج والجمرات
فحقق رجاء المسلمين بوحدة ... تفيض عليهم أعظم البركات
إلهي ألن قلب القساة فانهم ... على غير تقوى بارىء النسمات
إلهي لقد جئناك ندعو عليهم ... وندعو على الظلام بالنكبات
إلهي بهذا الحج ألف قلوبهم ... وباعدهم عن فرقة وشتات

إلهي دار العرب دار ثرية وأبناؤها عاشوا على الفضلات
إلهي سدد خطوهم واهد جمعهم الى محق داء الخلف والعثرات
فقد اعضل الداء الأساة وأجلبت عليهم به الايام بالفتكات
إلهي واجعل همهم نور ربهم ونورك ملء الارض والسموات

٭ ٭ ٭

لكل أناس صولة وتواصل وشمل جميع طيب الثمرات
وليس يقود العرب رأي موحد حيال الذي يلقون من ضربات
أفيقوا أفيقوا من سبات ومن ونى فقد ريع هذا النوم بالصرخات
وقد سمع الاموات صوت أمة تنادي بلم الشمل وهو موات
ولا تنسوا الباغين كيف تلفتوا فغير خفي منكر اللفتات
هلموا الى الحق الذي هو حقكم الى طيب الغدوات والروحات
ولا تتوانوا فالزمان مسارع وقد ثوب الداعي بخير عظات

٭ ٭ ٭

أتينا الى خير الديار واننا لنأمل عزاً أيد الخطوات
يلم شتيتاً من قلوب نقية ويحطم جيش الشر والشهوات
ويجعل دار العرب داراً عزيزة وقد زال ليل الشك والشبهات

يوم سعيد

كان زياد يسير على رصيف المحطة بخفة ، وكان يبدو عـــلى وجهه انه مسرور ، مغتبط ووقف ينظر الى القطار الذي أقبل من معان ، ويتفرس في الوجوه ، عله يرى صديقه أحمد ، الذي مر عليه عام لم يره ، انه يحب هـــذا الصديق لخصال كثيرة ، فهو شاب مثله في نضارة الفتوة ، وقد تعلما في مدرسة واحدة ، بل لقد جلسا في مقعد واحد طول مدة الدراسة الثانوية ، وقد كان كل منهما يكمل الآخر ،هذا يميل الى اللغات والاجتماع وصديقه يميل الى العلوم ، ومن هنا تعاونا في المدرسة ،وتخرجا صديقين حميمين تؤلف بينهما المثل العليا التي نهلا منها معاً على مقاعد الدرس ، فكان زياد تاجراً ، وكان صديقه معلماً في مدرسة معان وها هو قادم في العطلة المدرسية ، وسيقضيان وقتاً طيباً في جبل عمان،فلا يزال زياد يحب القراءة ويحب الرسم، ويقرأ اكثر ما يقرأ القصص والشعر . وانه ليستعيد على ذهنه كل اولئك ، اذ بيد تلوح له من القطار وصوت يناديه فاسرع نحو اليد الممدودة وصافحها وأخذ الناس ينزلون من القطار ، يحمل بعضهم حاجاته وبعضهم يخرجونها من نافذة القطار ويتلقاها الحمالون والاصدقاء ولم يكن مع أحمد سوى حقيبة واحدة فاخرجها من الشباك وتلقاها

زياد ، ثم كانا بعد قليل على الرصيف يتحدثان ويضحكان ، ثم استقلا سيارة فانطلقت بهما الى عمان . وكانت حركات زياد تنم على بهجة وعمق مسرة ،هذا الى ان وجه الفتى مشرق بحلم سعيد ، وكأنما وجد كنزاً ، ولم يخف ذلك على أحمد ، ففرح بهذا الاستقبال الحار وهذه الطيبة التي تتجلى في زميله . وكان زياد اذا مشى خلت قامته الفارعة تسير في نغم عذب ، وجو مشبع بالاغاريد ، فانغمر احمد في هذا الجو ، وراحا يتحدثان عن التعليم والتجارة والاقتصاد وما يكتنف الناس من المشاكل والمعضلات ، والامور التافهة والشؤون الكبيرة ، حتى اذا أحسا بالجوع دخلا الى مطعم ثم افترقا على ان يلتقيا في بيت احمد في المساء ، ومضى زياد الى متجره ، فجاءه رجل يعرف فيه المطل والتسويف فقضى حاجته مبتسماً منشرح الصدر ، ثم علم ان سيارة لهم هوت في الوادي، وان سائقها نجا فظل على حالة من الهناء والاستبشار ، وكان أبوه رجلاً ضيق الصدر كثير الشكوى برماً بالحياة والناس اجمعين ، فدخل غاضباً ساخطاً متذمراً من اهمال السائق ، الذي خسره الف دينار في طرفة عين ، فلم يتأثر من كلام أبيه بل ظل على حاله من البهجة ، وقد تساءل حين لم يفارقه ابتسامه ومرحه عن هذا السر فلم يعلم أنه كان متفائلاً الى هذه الدرجة ، ولم يعرف من نفسه انه يأخذ الأمور بهذا اليسر وهذه البساطة ، فعلل ذلك بلقياء الصديق ،

والموعد المنتظر ، وخطر بباله أن قبوله في الجامعة المصرية كان سبباً من أسباب انطلاقه وبهجته ، وانه اذا كان في القاهرة ، فقد امكنه ان يطلع على حياة لم يسبق له أن عرفها إلا من خلال الكتب ، وشتان بين الدنيا على الخريطة وبينها في دنيا الواقع ، ثم أنه أخذ يفتش عن الاشياء التي بعثت هذا الجو السحري الذي يعيش فيه ، وفي أثناء ذلك كانت تعرض له منغصات كأن يرى عمته الصبية الخفيفة الروح ملقاة على فراشها بعد أن الح عليها السعال الخبيث شهوراً ويرى الى جانبها قريباً له قد قضى نحبه ، ولم يترك لاطفاله الصغار ما يتبلغون به ، فلم يكتئب كعهده حين يذكر ذلك الرجل وحين يذكر زغب القطا الذين لا ناصر لهم على الارض .

واذا كان يحب صديقه أحمد فان حبه ليس بدعاً ، انه يجد مكاناً علياً في قلبه لاحمد ، ومع ذلك فان قلبه اكبر من عهده به. انه يتسع لكل شيء .

ان الناس كلهم افضل مما كانوا بالامس ، والشمس في اشراقها غيرها بالامس حتى ان غروبها لا يبعث لقلبه بالكآبة كما اعتاد أن يجد ذلك وكل شيء ينبض بالحياة والامل ، لا ريب ان حياته هذا اليوم اسطورة من الاساطير فلم يحس انه مر عليه في واقعه او خياله شيء نغص عليه هذه المتعة الروحية، نعم انها لمتعة روحيه لم يحلم بها ، ومنذ فارق الكرمل والبحر الهادىء

الجميل والسماء الزرقاء التي تلوح فيها الغيوم في بعض الاحيان ، نعم لقدفارق تلك الجنان وهويخزن في رأسه صوراً شتى من ذلك الفردوس ، ولا ينسى بيته الجميل المشرف على البحر أيام كان يلعب ويمرح ويستقبل أبناء الجيران في ساحة الدار الفسيحة أيام كانت الفتيات يعقدن حلقات صغيرة ويدرن في الساحةوهو ينظر اليهن كعقودمن الزهر الحي ، وبينهن لمياء بنت ام فؤاد ، يا لها من أيام رائعة ! نعم انها لمياء التي قالت له اليوم انها ستذهب أيضاً الى مصر وستدرس معه في كلية الآداب .



فكرة . . .

لم يكن فيلسوفاً ، ولم يكن أديباً ، ولا شاعراً غير انه كان ذا حس صادق وكان أبداً يفتش دون أن يحمل مصباح ديوجينس، انه يحب الانسان ويحب ان يعرف صدق ما قاله فيلسوف المصباح ، ولكن كيف يتاح له ان يعرف صدق المقال والناس في هذا العصر يسيرون على نقيض ما بشر به الفيلسوف : ان كل واحد منهم يريد أن يحوز أكثر شيء ممكن ، مع ان حاجات الانسان الحقيقية اقل بكثير مما يصور الوهم ، غير أننا لسنا بسبيل هدم هذا الوهم من النفوس ، فان اعلانات المصانـــع التي تنتج السلع اكثر بكثير من أي اغراء فكري ، وانصباب الناس الى الشراء كذلك يقوم دونهذا الذي يود أن يكون بدعاً بينهم فيقنع بالقليل ، وينصرف عن الكثير الغامر. بهذا كان يناقش نفسه. اذن ما العلاج الذي يضعه للناس ليكونوا أكثر محبة ،وأصدق نظراً ؟ ينبغي ان يكون هدف الفرد المحبة فقط ، وحينئذ يعيش الناس في سلام ، ولكن ما بال هؤلاء الأقوياء لا يتخذون من المحبة سلاحاً يفل كل ســـلاح ؟ انهم اذا لم يتخذوها هادياً ودليلاً لهم في تخبطهم وصراعهم فهل يعني أنهم على الحق؟ وهل

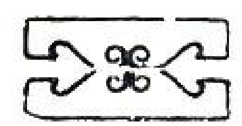
يعني انهم بلغوا المنى ؟ انـا اذا نظرنا اليهم من خـلال هـذا المقياس ألفيناهم أضعف الناس ، واجدرهم بالرثاء لأنهم لا يريحون ولا يستريحون . ثم يعود ليسأل نفسه ، وما معنى القوة ؟ هل هي امتلاك السكين فصاعداً الى القنبلة الذرية ؟ كل الناس يقولون بذلك . كلا فان هناك انساناً في عصرنا هذا رأيناه بعيوننا وسمعناه بآذاننا قد أثبت أن القوة ليست في السلاح . انها في المثل الطيب في الانسان : غاندي . فقد اخضع القوة من السكين الى الطائرة ـ حين قال بمقابلة الشر بالخير . . . وحين صنع ذلك . ولكن هل يصلح هذا لكل الأمم؟ انه يؤمن بانه نافع لكل زمان ومكان ، أليس من واجب الأقوياء أن يزيدوا من قوتهم بهـــذا السلاح الذي لا يقهر ؟ نعم . ولماذا لا يستخدمونه ؟ لأنهم لم يبلغوا المنزلة الروحية التي بلغها ذلك الانسان الأعزل العريان. ..ومتى يبلغونها ؟ واضح أن التقدم العلمي سيكرههم على ذلك ؟

ـــ أنت تريد أن تقنعني ان هذا المارد سيعود حملاً من تلقاء نفسه وأنه سيستغني عن الاظافر والأنياب .

ـــ إن الانسان هو الذي ركب النيوب والاظفار . ألا ترى أن الحيوان المفترس ، لا يقتل لمجرد شهوة القتل ، بل ليسد حاجته ، والانسان المتمدن ، لا يحتاج ومع ذلك يستمريء الولوغ في الدماء ؟

ـــ ولماذا ؟

ـــ لأنه يصوغ جملاً مبهمة يدعي انها مبادىء ، ثم يؤمن بها ، ويجد من واجبه ان يموت ، أو أن يميت في سبيلهـا . وكل فريق يتخذ من هذه الجمل صنماً يعبده ، وكل من لا يعبد هذا الصنم فهو أحمق ، جاهل ، كذاب يجحد الحق ، كافر يستحق الاعدام ، ويجب اعدامه . وهذا البلاء موجود في كل عصر من عصور التاريخ ، ولذلك انصب البلاء عـلى الانسان منذ كان الى هـــذا الزمان .



فراق . . .

وقفا على نهر الاردن ، على الجسر الذي يسمى جسر اللنبي ، كانت هي فتاة في الرابعة والعشرين من سنيها ، وكان هو قد نيف على السابعة والعشرين ، وقفا هناك ينظران الى ماء النهر المنساب الذي لا يسمع له جرس . ومياهه اقرب الى أن تكون حمراء غب مطر غزير في أيام آذار ، وكانت لميا ، فتاة فارعة القوام ذات شعر كستنائي ووجـــه فيه سمرة تأسر القلوب ، وعينين كعيني الظبيـة ، وخصر نحيل ، وكان النسيم يداعب شعرها الذي قصتـه على منوال الأوربيين ، وكثيراً ما كانت تضطر أن تزيح شعرهـــا عن عينيها البراقتين ، وجبينها الصلت الجميل ، وهي تضحك عن أسنان بيضاء كأفتن وأجمل مـا يكون البياض ، ثم تقول ان الطقس هنا لطيف منعش ، برده مقبول فيه دفء وفيه ظرافة ، ولقد عضني البرد في القدس أكثر من مرة . أما الفتى فقد تخرج في إحـدى الجامعـات في الشرق ثم زار الغرب واطلع على كثير من تفكيره بوصفه تخصص في الصحافة ، وقـد كان من الفتيان الذين تظهر عليهم مخايل النجابة ، لا يحمد طوله ولا يذم ، وليس له ما يمتاز به إلا أنفه المنحرف قليلاً ولحمه يملأ جسمه فلا هو بالنحيف ولا السمين . يمتاز بلسان ذرب وبشرة

بيضاء مشربة بالحمرة ، وأذنين فيهمـــا قليل من التشويه ، بسبب امتدادهما للناظر المدقق ، ومع أنه في ربيع العمر إلا أن هناك شعرات بيضاً تلوح هنـا وهناك . فقال لها ليتني كنت مكان النسيم ، اذا لكنت في النعيم و . . . فقالت وهل تظن أن مثلك يستحق ؟ فجمد مكانه ، ويبست الابتسامة على فمه ، فكأن وجهه ، وجه جثة مات صاحبها وعلى فمه ابتسامة استحالت الى تشنج وتقلص في عضلات الفم فأصبحت مرعبة ، ومرت ثوان عليه وهو في هذه الحال ، فقد آذته حقاً ، وقد نالت من شغاف قلبه ، غير أنها لم تتأثر بمنظره ، بل ظلت على حالها . فلما لم تتراجع قال لها . ان هــــذا الذي تقولينه فظيع ، فظيع جداً . قالت دون أن ترحمه ولكنه حق ، انني لن أسمح لك بذلك . فقال ولكـــنه كلام وفيه لو.وهو لم يتحقق .

هي : ولكنه لن يتحقق لأنك قـد غيرت مجرى حياتي بعـد أن غيرت مبادئك وغرتك الدنيا الغرور .

هو : وماذا تعنين ؟

هي : أعني أنك كنت تكتب ما لا يتفق مع مصلحة البلد فما الذي غيرك

هو : انني لم أسـع الى ذلك ، ولا قصـدته ، إن هو إلا كـلام ، لعلك لم تعرفي مداه ، ، أو لعلك أخطأت في فهم ما أريد

هي : قد تكون شهادتك الجامعية مفيدة عنـدما تطلب وظيفة في ملاك الدولة

وقد تعطى من أجلها مقـداراً معيناً من الدنانير التي تعبدها أما شهادتي فانها دون ذلك . وأحب أن تتأكد أن الجنس اللطيف يحس اكثر بكثير مما يحس الجنس الكثيف .

هو : لا أفهم ما تقولين

هي : أنا أدري أنك لن تفهم مـا أقول فقـد ران على شعورك كثير من الزيغ والزلل .

هو : وكيف كان ذلك

هي : انني أستحي أن اكون قد عرفت بأنني خطيبة لمك ياجمال

هو : وما تعني هذه الكلمات

هي : انها لا تعني أقل مما تحمل من احتقار .

هو : يظهر أنك مصابة في عقلك هذا النهار

هي : لأنك قد أصبت في عقلك وقلبك معاً .

هو : انك توجهين إلي أقسى اهانة لقيتها في حياتي

هي : انها بدء الطريق ، وأول المراحل

هو : وهل هناك أشد من هذا عندك ؟

هي : كلا بل أنت الذي ستسعى وراءه .

هو : أرجوك ان تهدئي ، وأن تحدثيني حديث الصديق للصديق .

هي : أحب أن أقول لك أنني مسرورة لهذا الخلل الذي طرأ علـــى السيارة حتى أتيح لي أن أتحدث اليك هاهنا . ان الصدفـة هي التي جمعتنا فيها ، ولولا اضطراري لما قبلت أن أركب في نفس السيارة التي تقلك .

هو : وكل هذا حدث في أسبوع ؟

هي : نعم في اسبوع

هو : ألا تريدين أن تعرفي الحقيقة ؟

هي : وهل لديك حقيقة؟ وهل تعرف من الدنيا بعدهذا الذي صورته في مقاليك الا النفاق والرياء والكذب،اسمع انه اذا جاز لأي مخلوق في الدنيا أن يترخص في الواجب ، فاننا نحن في هذا البلد لا يجوز لنا ذلك بحال من الاحوال. انا مرابطون تكتنفنـا البلايا والرزايا ، وعلينا مسؤوليات جسام . ولن يغفر الله خطايانا مهما كانت صغيرة . هكذا يخيل لي . ان بلادنا فقيرة الآن ، ولكنهـا قـد تثري . ان أهـــل الخير ليسوا اكثر الناس ولكنهم سيتكاثرون ، وان طريق الثراء قصيرة وتستطيع أن تكون ثرياً في أقل من القليل ، ولكنك لن تكون رجلاً محترماً . ولكنك لن تكون محبوباً . ان هذا البلد بحاجـــة الى رجال صابرين محتسبين ، حتى يغرسوا بذور الخير . وينصبوا المصابيح على الطرق ليهتدي بهـا الناس وأنت من رسل الظلام .

هو : كفى ، كفى واظننا لن نلتقي بعد الآن

هي : بل سنلتقي وسيكون حسابك عسيراً . عسيراً جداً في الواقع .

هو : ومن هو هذا الذي سيحاسبني ؟

هي : انهم كثيرون ، أولئك الذين يعرفون مدى خسارة الوطن فيك وفي أمثالك ، فارجع من أول الطريق ، أولى بك .

هو : أريد أن أبتني لك عش الغرام .

هي : بالسحت والمال الحرام . أتظن أنني حين خطبت اليك كنت أجهل أنك فقير ، وانا سنعيش كذلك ؟ انني ما حلمت يوماً بالثراء أيها الفتى الذي احتقر كل طريق من طرق الفضيلة ومشى عامداً في طرق الشر .

هو : واذا عدت عن الضلال

هي : سأفكر في الامر

ونفخ بوق السيارة معلناً أن التصليح قد تم وان الركاب يجب أن يحضروا كما انهم سمعوا بعض الركاب ينادونهم : تفضلوا تفضلوا ، وركبوا السيارة في طريقهم الى عمان . وقد كان ترتيبها منذ البدء حين اخذوا السيارة في القدس ، بجانبه ، فجلست بجواره وقد مس كتفها كتفه ، غير أنها لم تحس به كانه احدى الصخور .حتى اذا وقفت السيارة في كراج البتراء ، ذهب كل لطريقه فذهبت هي تفتش عن باص جبل الجوفا ، وأما هو فقد استقل سيارة الى جبل آخر .

خطرات في مصايف الزبداني

١ - أم

من شأن الكتاب ان يفسروا للناس الاحداث التي تقع أو ما يمكن ان يقع وان يعللوا لهم ما كان معروفاً لديهم في تاريخهم ، أو في تقاليدهم فينتبهوا الى مكان القوة ، ومصادرها أو ان ينبهوا الى مكامن الضعف ومواطن الخطر ليجتنبها الناس . وهم يحلون هذه الحقائق المشروحة أو اللفتات العابرة ، أو القصص المثيرة بشكل جديد لا عهد للناس بــــه ، حتى يعيشوا حياة أفضل ويتطلعوا الى آفاق ابعد ، ولولا ذلك لأسنت المفاهيم وتحجرت القيم ، ومن هنا فاننـا حين نقرأ لاكثر الناس لا نجد اننـا انتقلنا الى جو أعلى ، أو الى جو جديد ، غير اننا نسير على ما ألفنا دون تذمر هذا اذا قرأنا ، ولكن الذي لا ريب فيه اننا نعيش حياة تسرب اليها الملل والفتور ، واكتنفها الوهن ذلك باننا نحيا حياة لا تجدد فيها . اننا نود أن نعيش يوماً أو بعض يوم في جو نكتة بارعة ، أو سخرية لاذعـة ، اننـا نود ان نظل يوماً أو اسبوعاً نتحدث عن تمثيلية من صميم هذا الواقع الذي نرزح تحته : هذه حياتنا اليومية عمل نمارسه واكل نحس معه البطنة او الجوع والنوم ، وبعض القراءة التي لا عمق فيها ولا اشراق

لها . وأحياناً نشهد فلماً من الافلام يحدثناعن حياة لا نعرفهـــا إلا من قبيل الظن ، وان عرفناها فاننا نأسى لما نحن فيه من التخلف ، ونعى على أنفسنا مـا نعى ، بل لقد مللنا هذا التبكيت والتوبيخ واصبحنا نفضل أن نصمت حـين تخطر لنا المقارنة ، بيننا وبين غيرنا ، فنضرب عن ذلك صفحاً تجنباً للتكرار والكلام المعاد .

٢ - آلام الموسيقى

من متع الحياة أن يجلس الانسان في سنة مثل هذه السنة الى جانب نبع أو نافورة تداعب بركة ، وتتطاول فوقها ، وتستمر في هـذا التطاول لتعود الى الانغمار في بقية الماء على سطح البركة ، فاذا نقلت طرفك في السماء الزرقاء الصافية والاشجار الباسقة وخضرتها التي توحي بالخصب والنماء وجمال الحياة شعرت انك قد انغمرت في الطبيعة وذهبت في غبطة مع النسيم العذب الذي يداعب شعر النساء الجميلات ، او يعنف فيعبث بشعرهن واثوابهن وتأملت أنك قـد انسجمت مع الجو كله ، فاذا بك تسمع خشخشة مكبر الصوت ، وتسمع الراديو فتود لو صمت هـذا المارد الذي لا يمل الصياح ، فتعلم أن ذلك غير متاح لأن العادة هي أن يظل هـذا الجبار ينسكب مهلاً في الآذان شاءت أو لم تشأ ، وينسكب باستمرار فنرجو صاحب المقهى أن يخفف من حدة الصوت حتى تتمكن من العودة الى نفسك والى ما حولك ولكن الراديو

يواصل الصياح وينتقل من قارة الى قارة شئت أم أبيت فتمني نفسك بالخروج من المنتزه الذي أزعجك ، وتجرب غيره فلا يكون حظك أقل سوءاً من حظك في المرات السابقة . وهنا تثور لكرامتك ـ بينك وبين نفسك ـ وتدعي ـ أو تقول مخلصاً ـ ان هذا من فساد الذوق وانـــه ينبغي أن لا يكون ، ثم انك توسع المجال فتجد أنك في نفس الحلقة التي تفر منها وهي الألم والتذمر والشكوى ، فقد هربت من البيت ، لأن البيت مألوف وأتيت الى المنتزه لأنه غير مألوف ، فجاءك بكل ما في البيت وما في العمل ومصانعة الحياة وممارستها من أتعاب ! !

٣ - بتجهم للضياء

هذه امرأة ابتدعتها الحياة نموذجاً من الفتنة والاغراء ، ودنيا أوسع من هذه الدنيا التي تعيش فيها ، ففي كل ايماءة من يدها ، أو همسة من همساتها أفانين من المعارف ! ! وألوان من الانداء والاصداء وفي طرفها الناعس سطور تقرأها ألف مرة ، وتعيد قراءتها وفي كل مرة تجد الجديد الذي لا يحصى من المعاني ، فاذا مشت فقد عرفت في خطوها شطحات القلوب ، وعرفت معنى الموسيقى ، وعرفت معنى قول جبران خليل جبران « كل جزء في جسمه يحب الجزء الآخر » فاذا عادت الى مكانها اسندت يدها الفضية وأصابعها المطرزة بالاحمر الى رأسها الصغيرة التي تزخر بالحياة اكثر من رأس فينوس ، ونظرت الى زوجها الصامت الذي لا يريد إلا ان يظل متجهماً .

٤ - تنفر من الجمال

فاذا التفت الى مجلس آخر ألفيت شاباً يطفـــح بشراً ، وينشر المرح والمسرة بوجهه وقامته ، وجمال تكوينـه ، وقد انبرى يتحدث بكل قلبه ، وبكل جارحة من جوارحه الى فتاة أحلامـــه ، تلك التي لاتستحق أن تحل سيور حذائه ، وهو لو حدث التراب ابتل بالندى ، ولكنهـا كانت تكتفي بايماءة بلهاء لا تدل على العطف ، ولا تـدل على الفهم ولا على التقدير . غير أن فتاهـا كان يتحرق الى هذه الاشارة ، ويتطلبها حتى لقد كان بيانه المشرق الفتان لا يبتغي جزاء اكبر من ذلك الجزاء فيبتسم لها عن أسنان يكاد بريقها يخطف الابصار ، ويدور بعينيه ضياء يكفي لفتنة تاييس أيام تدينها ، وبنلوب في انتظار عولص ذلك البطل الاسطوري .

٥ - أسباب العمى

وتلك المرأة التي ودعت آخر قافلـة من قوافـل الشباب ، دون أن تشعر بأنها فقـدت شيئاً ، لأن كل شي في نظرها هو الشعور بالنشاط أو المقدرة على الظهور بمظهر النشاط ولا ينقصهـا شيء من ذلك البتـة ، فجلستها المتكبرة ، والنارجيلة التي تكركر الى جانبها ، والدخان الذي تنفثه في الهواء ، بقوة وعرام ،

والزبيج في قبضتها تهزه مفسرة أومتوعدة ، أو ساخرة ، كل أولئك يشعر الناظر بأنها على حظ غير قليل من النشاط . وهي تنظر الى اليمين والى الشمال ثم تنظر الى ابنتها التي لم تبلغ أن تكون عانساً ولم تصغر عن أن تبلغ ذلك المدى ، هي ابنتها الوحيدة وهي كل ذخرها في دنياها ، وكل أملها في أيامها المقبلة ، ان كان لها أيام تقبل ، ان هذه الفتاة تنهض عن كرسيها لتخطو بضع خطوات في غير قصد وفي غير غاية ، إلا أنها تحب أن تمشي ، لتظهر فتنتها في تنورتها السوداء وصدارتها الخضراء ، وتحاول أن تكون خطواتها موقعة ، إلا أن الموسيقى التي يحيا عليها جسمها وروحها ليست من النوع الخلاق المبدع ، انها موسيقى عادية ، يضفي عليها الشباب قبولاً في أعين الناس وتسامحاً عند الشباب . والواقع أن هذه الفتاة ما كانت لتدل الناس على اكثر من أنها فتية وانها قوية الجسم . أما أمها الشمطاء فانها تصر بجلستها العنترية على أنها أبدعت للناس فتنة ، وانها حين تدور ببصرها في الجالسين تقول في سرها : هل يعمى الناس عن هذا الدلال في هذا المثال النسوي البديع ؟ والى متى يظلون على عماهم ؟ ولعلها لا تدري أنها هي التي جلبت الناس العمى ووقفت سداً دون ابنتها ودون الناس .

مبدأ القوة ومبدأ الحق

يبدو أن مبدأ التسلط والقوة هو الذي يسير الناس في مضمار الحياة، هكذا قال جون ديوي، والذي يبدو ان هـــذا الرأي متأثر قليلاً أو كثيراً، بالوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفيلسوف العظيم، واذا رحنا نفتش في تاريخ الانسان خلال قرن ونصف من الزمان نجد ان هذه النظرة صحيحة، فالتاريخ الحديث الذي بدأ بالثورة الصناعية، جرف الاقوياء في تيار قوتهم، ومن هنا ازداد التفتيش عن المواد الخام عند الأمم الضعيفة، وازداد ضغط الاقوياء على هذه الامم، وقد بلغ ذروته في هذه الايام.

ولا يستطيع أحد ان ينكر ان القوة كانت أبداً من العوامل التي تفعل في تاريخ الانسان منذ كان، إلا أن الانسان في عصوره الخوالي لم يعرف كيف يحول الغلاب والتناحر الى تعاون ومحبة، ولا ريب أنه لم يكن في طوقه ان يفعل ذلك، إلا أن فتوحات العلم العجيبة هزت الانسان هزاً عنيفاً وجعلته يفهم عن طريق هذا المارد ان سلامة الارض كلها أصبحت رهناً بمدى استطاعة الاقوياء التغلب على مبدأ التسلط والقوة، ونحن نلاحظ ان روحاً جديدة بدأت

تظهر في جو المؤتمرات الدولية ،من أجل احلال المحبة والتعاون محل التفارس والمغالبة ، ولا ريب أن هذا الاتجاه اذا آتى اكله ، ملأ الأرض خيراً وبركة ، وسادت فيها حياة جديدة ، لا عهد للناس بها .

غير ان الذي يحير الفكر (على الأقل فكر الناس غير المسيطرين) هو أنه اذا كانت كل قوة من القوى الجبارة قد بدأت تدرك ما يكتنف استخدام القوة من الويلات،وانها قد أخذت تسعى جاهدة لاستبعاد التدمير والهلاك عن بلادها وعن العالم ، فلم تصر على انتهاك ابسط الحقوق وتحشد من أجل ذلك النار والدمار ؟

ومن هنا يتأتى لهؤلاء الناس - غير المسيطرين - أن يتساءلوا ، وهل يبقى الأقوياء على سياسة القهر والفتك بالضعفاء ، اذا اتيح لهم ان يجنبوا العالم الدمار ؟ انهم اذا فعلوا ذلك كان معناه أن روح الشر ستظل تلازمهم ، ولا بد أن يعودوا في يوم من ايامهم الى الغلاب والى تدمير الأرض .

وما من أحد يبتغي للارض هذا المصير ، وما من أحد يريد لهؤلاء الجبابرة أن يشعلوا الارض ناراً ، بل يريدون لهم أن يكونوا صالحين يعمرون الارض بالمحبة والتعاون الذي يدل على نفسه بالخير الذي ينشره وبوقوفه الى جانب الحق ، يسانده وينصره ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ولا يجوز له أن

يغمض عينيه عن الأذى أياً كان باعثه ، وأياً كانت ضحيته ، بهذا تعمر الارض وبهذا تكون القوة كريمة أمينة خيرة يدعو لها الناس بطول العمر ، ولا يدعو عليها المظلوم تلك الدعوة القريبة من الله ، لأن الظالم يجد ظالماً مثله أو فوقه ، فتعود الحلقة كما عرفها التاريخ ، واني لأذكر الطيب الذكر فنديك عندما حاضرنا في الجامعة الاميركية عن نظرية التطور ، قال :

ان الحيوانات التي بادت هي تلك التي لم تتقيد بالحد الطبيعي ، والتي خرجت على الاعتدال . وأنا أزعم ان السبب الفعال في الأمم التي ذهب ريحها هو أن الفضيلة قد شاخت عندها . إن الاجتراء على الظلم ، والامعان فيه ، على علم، لا يبشر بخير ، واننا في الحق نأسى لذلك لا بوصفنا ممن وقع عليهم الظلم بل بوصفنا من سكان هذا الكوكب الذين يؤمنون بالله وبأن الخلق كلهم عيال الله .

وخزات صغيرة . . .

يشتد حزني كلما صرح زيد وعمرو عن تقارب وجهات النظر العربية ، وكلما كانت الكلمات فضفاضـــة كلما ران على قلبي الأسى ، ذلك بأن أقل الأمور العمليـة وأيسرها يذهب الايمـان من النفوس ، ولقد مر على الناس عهد اعتقدوا فيه أن طريق الخير معبدة ، وان دنيا العروبة اصبحت دنيا واحدة بريئة من المشاكل نقية كالصباح النشوان بنعيم الزهر وأنفاس الربيع ، ثم كان الواقع غير ما سمعوا . تعال معي تنقل حتى تجد ما يدير الرأس . انك تشعر بأن رب البيت مؤمن بأنه أدرى ، وانه ينبغي لك أن تؤمن بأن كل شيء تراه هو أفضل الاشياء ، ولا يجوز لك أن تبدي عليه ملاحظات ، لأنك لا تعرف الظروف ، ولا تقدر الاوضاع ، وغير ممكن لك أن تدرك كنه الشكليات فيه . فـأولى لك وأحرى بك أن تحتفظ برأيك ، بـل أنك تحسن الى نفسك والى العروبـة اذا أنت آمنت بكـل شيء واطرحت رأيك واستغنيت عن فكرك . وبذلك تطمئن وتدخل الى قلبك المسرة بالدنيا الواحدة في الخطب والمقالات ، والدنيا غير الواحدة في ابسط الأمور . واذا كنت عاقلاً فانك ينبغي أن تحيـا كما يقال لك ، لا كما يرى عقلك فاذا قرأت الصحف ، ورأيت عنـاوينهـا الضخمة بانفراج الغمة ، وصلاح الأمـة فآمن بذلك ، ثم اذا اجتزت حـدود

البلد الذي تعيش فيه ولقيت الأذى من الجمارك والجوازات ، ودائرة الأمن العام فقل ليس في الامكان أبدع ممـــا كان.لأن تنقلك في دائرة الأمن العام يضفي على ايمانك بانفراج الغمة جلالاً بدليل أنك لا تكلف ذلك في البلاد الأوربية ، فما دمت تحتـــاج أن تخرج من بلدك الى أي بلد عربي فان من دواعي المسرة أن تجدفيها شيئاً من العنت ، لأن الاجر على قدر المشقة ، وأنت تعلم أنه لا يختلف في هذه الحكمة اثنان ، واذا أردت أن تشك فيها فأنت حر لأنك ستظل مثلي حانقاً غير مستريح . وعلى ذلك فأنت مخير ، ومـــا أظنك تختار الأسهل .



قليل من المسرة ! !

اكثر الكلام الذي نقرأه في هذه الايام موصول الجد، شديد الانصباب الى معالجة المشاكل، إلا انه كله رصين، لا يمت الى الفكاهة والمرح بصلة، وانا أزعم ان الناس يرغبون في السخرية، ويتلذذون بها، ولا سيما اذا كانت عامة لا تتناول شخصاً بعينه، على أن الهزء بشخص أو التندر عليه قد يسر حفنة من الناس وينفر الكثرة الكاثرة، وقد خطر لي أكثر من مرة أن ارفه عن نفسي - في ايسر الامر - فانساق مع السخرية فجاءتني هذه الحكاية: كان في السلط بساتين - ولا يزال، وكان ذلك قبل خمسين عاماً، وكان بعض الناس يستسهلون النزول في الليل الى البساتين ليحملوا منها ما يستطيعون دون حق أي انهم كانوا يسرقون، وفي ليلة من ليالي الشتاء سمع صاحب البستان حركة في مكان منه، فقال في نفسه لا بد أنه لص جاء ليسرق الزهر (يخنا) فمشى نحوه وقد حمل هراوة كبيرة، حتى اذا داناه قال له اللص بصوت خافت ارجع ارجع . انني اترصد الضبع، وقال ذلك بلهجة الصادق المتأكد مما يقول فرجع البستاني بمنتهى الحذر كأنه لص، وظل ينتظر ان يسمع اطلاق النار ولكنه عبثاً ينتظر، الى ران عليه النوم، وفي الصباح ذهب الى حيث أحس بالصياد في الليل، فرأى أن الصياد قد اصطاد الزهرات فقال انني أنا الضبع.

أنا أزعم أن هذه الحكاية طريفة لبساطتها وخلوها من الملابسات ، وهي قصة واقعية وانا أعرف الرجلين ، وكلاهما الآن في الذاهبين الاولين رحمهما الله . واذا حاولت أن تشك فيها أيها القارىء فلا ضير عليك ، واذا كذبتها أيضاً فاني لا أكره ذلك ، على اني أحذرك من التكذيب ،لا لأني سوف اهجوك واقذع في هجائك ، ولا لأني سوف ادلل على صحة هذه الرواية ، واقول لك أن روايتها بالعامية افضل من روايتها بالفصحى وأجمل ، بل لأني أجدها في نواح كثيرة من الحياة ، ولو سألت نفسك لوجدت ان مخادعاً محتالاً قد أضلك عن «زهراتك» بحجة الضبع ، فأمنت له فاستأثر بالزهرات من دونك ، ثم جاءك مرة أخرى في ثوب آخر وفي اسلوب آخر أكثر تعقيداً ، وأبرع حبكة فحذرك مغبة تفريطك في حقك فوضعت أمرك بين يديه ، فأصاب منه ما لا يصيب الأعداء الزرق ، بل أنك ، أو انه أو انهم كانوا أشد ألماً لأن الخطر الموهوم قد تجسد على يدي الناصح الشفيق مضرة واضحة وخسارة فادحة ، وفي الواقع أن هذه القصة تذكرني أنا شخصياً بكثير من الأمور الخطيرة !

ألم يحذرونا من مغبة الجهل والركود ؟ ألم يحذرونا من مغبة هذا التقاعد عن استثمار مرافقنا الاقتصادية؟ألم ينصحونا بان نعتمد على روح المدنية العالمية؟ ألم يقولوا لنا ان االعصر هو عصر التعاون والمحبة وشن الحرب على الجهل والفقر والمرض ، واننا من أجل ذلك يجب ان ننتظر الخير الوفير فلقي مليون انسان ما لم يعرف التاريخ في كل ما عرف مثل هذا الاستئصال ؟

قصة كتاب

قبل سنوات قمت أنا وصديق بترجمة كتاب «عظماء العلماء» وحاولنا أن ننشره فلم نوفق، ذلك بأن حياة هؤلاء العظماء تفيد الناس ففي حياة كل عالم منهم ملحمة برمتها ، وأتذكر الآن أنني بكيت حين انتهيت الى موت كبلر ، في الطريق غريباً بائساً فقيراً ، ووراءه أطفال وزوجة ينتظرون أوبته ليشبعهم بعد أن طال جوعهم ويكسوهم بعد أن طال عريهم وان هـذه الأسرة لفي غمرة الشوق إذ صدعتها الفاجعة فضربت بينها وبين الراحة والهناء حجاباً مستوراً .

نعم لم نوفق الى نشره لأنه مفيد من ناحية سمو المبادىء ومن ناحية روح العلم . ولم أكن أحب أن أذكر هـذا لولا أنني ذكرت كبلر وسواه من أئمة العلم ورجال الاصلاح ، وأنا أقارن حياة هؤلاء بحيـــاة سواد الناس الذين نعرفهم ويعرفهم ابن الرومي وكل أديب قبله وبعـده . ثم انظر الى الساسة في هذا الشرق أو الى الكثرة الكاثرة منهم والى الآراء التي يبثونها والمقالات التي يسودونها ، والخطابات التي يبعثرونها وينشرونها في طول البلاد وعرضها .

أود أن أقول أن الكتاب الذي ترجمناه قبل سنوات لم نتمكن أن نجـد من ينشره لأنه يحتاج الى مال ولأنه لا يروج إلا عنـد فريق قليل من القراء

ولو كان المال ميسراً لنا عنـــد ذلك، لكان الكتاب بين أيدي الناس . ثم دار الزمان وتصرفت الايام فاذا بنا نستطيع أن نطبع الكتاب إلا أن أحداً منا لم يذكر الآخر بالكتاب ! ! والسر في ذلك أننا لا نريد أن نخسر فان شراء براد أفضل من طبع الكتاب ! ! وان بئراً في البيت أكرم من نشر تلك المبادىء ! ! اننا لم نقل هذا صراحة ولا تلميحاً ، ولكن انصرافنا عن ذلك يعني ما أسلفت .

أتظن أن قراءة هذا الكتاب وترجمته أورثتنا الجبن وأنذرتنا بمصير كثير من العباقرة حين آمنوا بأنفسهم وبمبادئهم فكان جزاؤهم الاهمال والنسيان والجوع ؟ أنا لا أظن ذلك وأنا صاحب القصة والتفسير وأما القارىء الكريم فانه حر في أن يرى ما يراه غير اني شخصياً أنفي أن يكون تأثير الكتاب في نفسينا سلبياً .

على أني لن أترك من يشك في براءتي من هذه الوصمة دون أن أدله على شيء أكثر نكاية وامعن في بعث الاسى . ومن اللازم أن تكون ياعزيزي طويل الأناة ، بارعاً في استشفاف المعاني من وراء الدوران واللف .

انظر الى الناس من حولك وتأمل في المترفين منهم في هذا الشرق العربي ، وقارن بين ما يحيط بهم من النعم وما يحـــاطون به من المتع التي يدق عن وصفها الخيال ، ولسنا في سبيل أن ننفس عليهم ما أسعفهم به الحظ ، ولكننـا

نفكر بما يمكن أن يؤدوه من خدمة في استثمار موارد البلاد الطبيعية وما يمكن أن يدر على البلد من خير لو أن هـــذه الملايين التي تنفق في درب الشيطان وجـدت سبيلهـا الى طريق الله الرحيم الرحمن ، وننتقل الى هؤلاء الساسة الذين لم يتركوا لنا وقتاً نفكر فيه بغير ما يزعمون ومع ذلك فقدظمىء الشوق في ارتقاب النعيم ، وتجمدت العيون في التطلع الى ما يرسمون ، علها تجد ولو شبحاً لتلك الحقائق التي قالوا انهم موقنون بمقدمها السعيد ، وفي يقيني أن المبادىء التي يؤمن بها القـادة ومن يقودون تحتـاج الى كثير من التفسير والى كثير من الايضاح ، والظاهر أن الناس يعرفون مـــا يريدون ويرونه في خيالهم وفي يقظتهم ومنـامهم ، وعهـدنا بالقـادة كذلك فأولئك الذين تزعموا حركات التحرير في الدنيا كانوا أبداً يحلمون بما يريدون فكانوا أبداً فى حلم لا يستفيقون على بشاعـة الحقائق ، ولا يستيقظون على وقاحـة الاحداث ، بل أنهم لما أمسكوا بالحلم استرسلوا فيه ، لأنهم أبداً وراء المثل الاعلى وأنا وحدي استيقظت بسرعة قل نظيرها ، ونسيت أن الطائرات التي تهزأ بالزمان والمكان ليست من صنعنا ، ونسيت أن حلمنـا يجب أن يسترسل في كتب أخرى لا أن ألتفت الى أمور تهم سواد الناس .

وقد يغضب صديقي لتصرفي هذا ولاذاعته في الناس ، وقد اكون وضعته في صفي من أجل ان اكتب مقالاً ، لازعم فيه انني أحب الصراحة وانني ممن

يقولون الحق ولو على أنفس اصدقائهم ! وقد ينسى صديقي الحكمة التي يتناقلها الناس « من ساواك بنفسه ما ظلمك » انه ينسى هذه الحكمة بحجة انه لا يريد هذه المساواة في مثل هـذه الورطة ، وقد يجد أن المساواة تعني توزيـع المسرة الروحية أو المتعة الجسدية في أكلـــة لذيذة أو ثوب قشيب أو في مال يقسم ، فيرضى الصديق ولو قسراً ! أما هذه المساواة فما أظن أحداً يرضاها ، وأنـا أزعم ان الاستاذ مسؤول عن تصرفي هذا فهو يعلم اني اتحدث عن نفسي بما يسرها وبما يسيء اليها . فلما قبل ان يعمل معي في ذلك الكتاب ،جعلته شريكاً في عقابيله . على انه حر في أن يتنصل مما رميته به كما رميت نفسي ، وفي وسعه ان يكتب وان يعلن ذلك للناس ، وفي وسعه كذلك ان يتظاهر ببعد الرضى وان يسكت ، ففي كل هذا الكلام قد يكون اعلان عن الكتاب ،فلعل واحداً من الناس يتكفل بطبعه على نفقته ، غير اني لا اميل الى ذلك ، بل انني أنفر منه لأن في هـذه الأريحية ان حصلت شيء جديد ، ولأن الكتاب نافـع ، ولأن الكتاب لا يمكن أن يرد تكاليفه ، واذا قيض له النجاح فان ذلك ولا ريب لا يسرني لأنه يخالف تقديري .

ومن أجل انه يخالف تقديري ، فاني لا اريده ! !

نشرت صحيفة العودة الغراء هذا المقال عام ١٩٥٣ وأرسلته الى صحف عربية اخرى . وكان مؤتمر الخريجين ١٩٥٤ في بيروت ، وكان المؤتمر في القدس عام ١٩٥٥ ، ولا يزال الرأي النقاش :

رأي للنقاش

إنني بوصفي معلماً قديماً أحب ان يكون ما أتعلمه واضحاً ليكون في وسعي ان انقله للناس بوضوح . وحين تجرفني تيارات الصحف والمجلات اغيب في عالم فضفاض فاذا عدت الى دنيـا الواقع تصدمني الصخور وتخزني الأشواك ومن هنـــا فكرت في الكثرة ممن يقرأون الصحف ويستمعون الى المذياع والى الآراء المتناقضة فتصورت ما يعتمل في نفوسهم وهم يرتطمون بالواقع القاسي .

اقرأ واسمع كثيراً من النظرات في الحيـاة الاجتماعية والاقتصاديـــة والتصاريح المتشابهة من رجال السياسة والتربية ، إن كلامهم شديد الحلاوة غير اني بوصفي مواطناً لا اتحمس ، وأنا اعرف وانت تعرف أن المواطنين العاديين لا يتحمسون مع أن هـذه التصريحات تقصدهم بالذات ، بل أنهم ينفرون منها ويتألمون أشد الألم . وهم يقولون اذا كانت هذه الكلمات دروساً للحفظ فقد حفظناها ، واذا كانت مسكناً فقد الفناها ، فهي لا تؤثر في الجسم،

واذا كانت فخراً فقد مجها الذوق لانها ليست من طبيعة العصر ولا محل لها ، واذا كانت مخلصة فلا حاجة للناس بها لأن الناس العاديين يحبون الاخلاص ويعرفونه . إن الناس يريدون أفعالاً صادقة وكلمات قريبة من افهامهم قابلة للتنفيذ .

ثم أن هناك كثيراً من الآراء الاجتماعية التي تسلك الناس في شتى الأحزاب وتجعلهم شيعاً متناحرين، بدلاً من أن يكونوا اخواناً متساندين. كل اولئك يخلق كثيراً من الاضطراب في القيم والمفاهيم ، ويحول دون الانسجام الذي تهدف اليه التربية ويرمي اليه الوطن ، ومن هنا فقد خطر لي أنه لا بد لنا ان نحدد كثيراً من القيم والمفاهيم وان يكون كل اولئك في أطار واضح سهل ينعقد عليه الاجماع ، يقرأه الناس ويفهمونه ويؤمنون به . ولا بد أن يضع هذه الفلسفة فريق من قادة الرأي في البلاد ، وان تعرض بعد ذلك على أحسن الادمغة وأصفى القلوب ، ومتى تمت الصياغة وخرجت الى حيز الوجود اذيعت في الامة بكل وسيلة ممكنة لتكون في متناول الطلاب في المدارس والناس في الصحف والمجلات ودور الاذاعة .

ان من الممكن أن نقرب للذهن صفات هذه الفلسفة القومية . انها ينبغي أن تكون على شكل يجب ان يعتقد بها كل مواطن ، لانه يجب ان يعتقد بها

فهي تنبع من كيانه وتعبر عن مكنون قلبه، مهما كان لونه الحزبي ومهما كانت فكرته الاجتماعية، وهذه الفلسفة تحدد لكل مواطن القدر الأدنى من الحقوق والواجبات، وكذلك فانها ترسم القدر الأدنى من حقوق القادة وواجباتهم.

فاذا كان ذلك فان التقصير عنه يعتبر خروجاً على مصلحة الوطن. ثم ان هذه الفلسفة تحدد هذا الوطن، ومن هنا فاننا نفهم، حين يصرح لنا معنى إزالة الحواجز الجمركية والجوازات السفرية، وغير ذلك من الأقوال التي يعرفها الناس كافة من حيث هي أقوال. ولا تعود هذه التصريحات ذات أثر ايجابي أو سلبي، لانها ينبغي أن توضع موضع التنفيذ سلباً أو ايجاباً. فاذا حددنا هذا الوطن فان كل من تكلم به على أنه اوسع أو أضيق مما هو مرسوم، كان خارجاً على مصلحة الوطن، ولا مجال حينئذ للفخر ولا للعيب، ان التجديد لا بد أن يضع الأمور في نصابها، ولا يكون هنالك مجال للاتجار بالعواطف، إن المواطنين يحبون أن يفهموا معنى الوطن العربي ومدى الامكان العملي لجعل الشعور يقينياً صميمياً، يريدون أن يفهموا على وجه الدقة. فاذا عرفوا السعة أو الضيق فانه ينبغي أن تزيد قيود الحدود حين يقال بازالتها، لأن الفلسفة التي رضي بها الجميع حرمت هذا التناقض وجعلته خروجاً على القاعدة التي يعرفها الناس كافة وخروجاً على مصلحة الوطن، فلا يحوز قائلها التصفيق ان

قال بالضيق، ولا يحوز الاعجاب ان قال بالتوسع المعاب. وبذلك تنتفي البلبلة من ذهن المواطنين وذهن القادة. ومن صفات هذه الفلسفة ان تجعل حقاً على القادة اثبات عملهم بالارقام، لا بالشعر والاوهام.

نحن في أمس الحاجة الى هذه الفلسفة القومية، وينبغي في اعتقادي، أن تتضافر جهود المفكرين وقادة الرأي لاخراجها الى حيز الوجود، واذا لم تفعل فستظل القيم مختلفة والنظرات متباينة وستظل العقول والقلوب متناكرة بسبب المسائل الشكلية، ويصرفها ذلك عن الامور الجوهرية وسيظل اتجاهنا موصوفاً بالشعب النظري.

ليست هذه الفلسفة هينة المنال ولا يسيرة التحقيق الا أنها يجب ان ترسم مهما كلفت من مشقة واتعاب، فهي الاساس الذي نبني عليه، والمدى الذي نحلق فيه ونصبو اليه، والصوت الذي نستطيع أن ننادي به مجتمعين.

بمناسبة تخرج الفوج الاول من التلاميذ

فى الميتم الاردني . . .

كنت طفلاً وتعرف الحب غضاً لأب حـــادب وأم رؤوم

وعرفت الحنـــان من كفهـــا الحلو وقول لهـــا بني نعيمي

حين مس الفنى فؤادك مست شفتـاهـــا جبينك الملهوبـا

فأزالت بقبلـــة ذلك السقم وأبقت في عـــارضيك الطيوبا

فهي أنس وراحـــة ونعيم وهناء رضعتـــه في الطفوله

✡ ✡ ✡

وأبوك القوي كنت تـــراه كيف وجهت مشفقاً ومعينـا

هو عطف وصولجـــان كريم وسنـا مشرقاً يضيء العيونـا

كـــل ما تشتهيـــه أو تتمنـاه قريب اليك سهل المنـــال

فهو يعطيك عن سماح وحب وهو يدنيك منيـة للخيـــال

أنت كنز لـــه وأنت منى النفس ونـــور مشعشع للكهوله

أنت أم فهل تأملت طفلاً عضه اليتم والطوى في لهاته
مطرق ساهم تمور من الحزن ظلال كئيبه في سماته
قلب الأمر عله يجد الحل فأدمت دموعه وجناته
ذهب الناصر الشفيق فماتت بسماته الحياة في بسماته
أظلم الدهر كيف يطلع فجر للفقير اليتيم من ظلماته
طرحته الايام فهو غريب في متاهاته وفي كرباته

☼ ☼ ☼

غربة الفقر للرجولة تيه مهمه لا يحد في فلواته
غربة الفقر كم أذلت عزيزاً ثم جرت عليه ثوب مماته
غربة الفقر في مناحات يتم انها الشؤم والهلاك بذاته

☼ ☼ ☼

ولئيم تضج من فحشه الارض وتشكو السماء من شهواته
أسعفته الحياة بالمال والجاه وأدنت من شره خيراته
ذاك شأن الزمان لكن شأني أن أضم الجراح من طعناته
ها هو الطفل قد سعى لملاذ ساكنات دموعه وجراحه
ها هو الطفل لو سمعت حديثاً لفؤاد تخففت أتراحه

وجد العون والمحبة والبر فضاءت في وجهه أفراحه
بسمة في تأمل ورجاء وهناء من منهل يمتاحه
قلبه خافق لنور ضئيل علـه أن يكون فيه صباحه
أترى يخفت الضياء ويمضي هاوياً في ظلامه مصباحه
ويموت الرجاء في خيبة اليأس وتبقى موارة أشباحه
لا . فان العيون قد رأت الطفل وهبت من رياحه
انه في كفالة الحسن هان وله اليوم بشره وصداحه
طار في روضة الحنان سروراً ومن المحسنات ريش جناحه

غفوة . . .

كانت تسير الى جانب زوجها في شارع بغداد بدمشق ، وكانت تنقل لحظها في الناس ثم يرتد طرفها الى زوجها العجوز الذي يحب أن يراها في أوقات فراغه بجانبه والذي يبذل من جهده وقلبه في رضاها ، أما هي فانها نصف لم تكد تمسك الاربعين ولم تكن في شبابها أفتن منها وهي نصف ، ولم تكن أكثر شغفاً بالزينة والبهرج منها الآن ، ولكنها لا تجد المسرة التي تملأ نفسها بالغبطة ، ومن ينظر اليها نظرة عابرة لا يعرف ما يعتلج في صدرها ، بل ان زوجها نفسه لم يحس أنها بعيدة الرضى أو نائية المسرة ، والواقع أنه لم يمر شعورها هذا زمن طويل ، فلقد عرفته منذ سنتين فقط ، وكانت قبل ذلك تعيش حياة عادية . تأكل وتشرب وتنام ، فاذا نهضت في الصباح غلت القهوة وجلست الى جانب زوجها تشرب معه ، ويتحدثان في حاج النهار ثم يكون طعام الصباح ، وطعام الغداء ثم ينصرف الى عمله في مكتب المحاماة ليعود اليها في الساعة التاسعة مساء ، إلا اذا اتفقا على أن يشهدا فلماً سينمائياً فانه يأتي مبكراً لأنه يحب أن يأوي الى فراشه مبكراً . وهي تقوم على شؤون

البيت دون أن تستعين بخادم ، فقد جربت الخدم وعرفت أنها لا تستريح لهم ولا تقربهم ، فاذا فرغت من أمور البيت قرأت ما شاء الله لها أن تقرأ من الروايات والبحوث الاجتماعية . وكثيراً ما كانت تجادل زوجها وتنتصر عليه لسعة اطلاعها . أما زوجها فانه محصور في كتب القانون ، مشغول بالدعاوى الخاسرة والرابحة . واذا اتفق له أن يكون خارج دمشق بسبب عمله فانها تخرج للتنزه وحدها فتكون في الشارع المؤدي الى الربوة ، وتكون في شارع بغداد ، أو عند البرلمان . غير أنها كانت تفضل أن تسير في سوق الحميدية المظلل وترتاده أكثر من غيره وهناك تمر بلحظها على انواع المتاجر ، واصناف الحاجات ولا يتصباها شيء ، فان لزوجها العجوز ذوقاً عجيباً في اختيار ما يلزمها من الثياب وألوان الزينة والمتاع واذا وقع في نفسها شيء واشترته فانها تجد أن ذلك الهرم قد جاءها بما يفوقه فتنة وسحراً وجمالاً ، ولقد سبقها في كل الحالات فاستراحت الى ذوقه ، واعتمدت عليه ، حتى أنها أصبحت لا تشهى شيئاً من كل ما تحتاج المرأة ، من هذه الامور .

ولكنها لا تدري لم تسير في هذا السوق جيئة وذهاباً فاذا تعبت أو عطشت دخلت الى بائع المثلجات حيث تتناول (القيمق) وتسرح طرفها في صحاف القاشاني وفي ملاط الجدران وفي الانوار البهجة هناك ، وتنظر الى الناس وهم

يلتهمون هذا المثلج ، فهذي فتاة في ريعان الصبا وجنون الشباب تجلس امام فتى في مثل سنها ، وتلك امرأة مهلهلة الثياب تقبل عـــلى هذه البوظة وتنظر الى رفيقها الذي لا يقل هلهلة وبؤساً عنها ، ولكنها تلاحظ أنه حفي بزوجه ينظر اليها بحنـان وعطف ويعلق على ملاحظاتهـا ثم يضحكان مسرورين مغتبطين بهذا الحظ السعيد الذي أتاح لهما أن يجلسا في هـــذا المكان فهما يأكلان ويتلمظان ، وكثيراً ما يقول الرجل أوخ ، ما أظرف هذه البوظة . وتؤمن زوجه على كلامه ، بحركات تنم عن السعـادة والفاظ وابتسامات تشرق في وجههـا المعروق فتبعث فيه احمراراً باهتاً تشعر معه بفيض من المسرة مشاركة لهذه المرأة القروية المسكينة .

وترى هنـــاك في الزاوية عجوزاً يجلس منفرداً يأكل وينقل عينيه في الناس ، فتغضي عنه ، وتلتفت الى أولئك العمـال الذين لا يفترون عن العمل فمنهم من يدير الماعون ومنهم من يرفع المدقة وهي هراوة طويلة يضرب بهـا المثلج ، وقد حسر هؤلاء الشبان عن سواعدهم السمراء الفتيـــة ، بل أن يد القميص منقبضة من تلقاء ذاتها الى ما قبل الكتف ، وتلك عضلاتهم تتحرك تبعاً لصعود الهراوة وهبوطها ، فتعلق بهذه السواعد عيناها ، ثم تنظر الى ثيابهم فلا يروقها المنظر ، فتعود الى السواعد ، ثم تنهض بحركة عصبية وتترك المكان،

وتعود الى بيتها دون أن تفكر في شيء ، ان ذهنها وهي في طريقهـا الى البيت خال من كل شيء الا من الاشمئزاز والغم والالم المبهم ، انهـا تسير دون أن تفكر في الطريق ، وتأخذ الباص وتنزل في المكان الذي يوصلهـــا الى بيتها دون أن تعمل فكرها ودون أن تعرف أنها تسير ، فاذا انتهت الى باب البيت تناولت المفتاح ودخلت .

ثم خلعت حذاءها وذهبت الى السرير واستلقت عليه . وهي لا تزال على حالها من الاشمئزاز والتأثر والكدر فتسائل نفسها ما بها ؟ وكل ما تشتهيه من متع الحياة ميسر لها دون عناء . ومع ذلكِ فانها ترى في نفسها ألماً وتحس أنها منقبضة الصدر وانها غير مرتاحة . لكن لماذا وهـــذا ابنها قد أكمل الدراسة الثانوية وانصرف الى عمله في التجـارة ، ويعيش مع شريكـه على أحسن مـا يكون الوفاء وعلى احسن ما تكون المودة ، وتجارتهما رابحة ، وابنتها العروس في أنعم بال ، وزوجها ، نعم زوجهـا العجوز يواصل العمل ، ويواصل الكدح ليهيء لها كل ما تحب ، وكل مـا تدري ومـا لا تدري من فنون الترف . فلم الغم والكدر ؟ وحين انتهت من ذلك غفت عينها ونامت قليلاً ورأت في منامها تلك السواعد المفتولة السمراء صاعدة هابطة .

تناقض العصر مفضوح

ما أظن عصراً من عصور التاريخ اتصف بالتناقض كما يتصف هـذا العصر الذي نعيش فيه ، فانت اذا عدت بخيالك وفكرك الى القرون الوسطى وجدت النـاس يؤمنون بقيم ومفاهيم ويكادون كلهم يجمعون عليهـا ، فهذا نظام الفروسية تباركه الكنيسة وتشد من ازره ويتفق الناس عـــلى الهدنة الربانية فلا ينقضها القادرون ،ويستمر النظام الاقطاعي بمساوئه وحسناته لأن سواد الناس وسواد القادة يرون في ذلك التدبير شيئاً في مصلحة السيد والمسود، وتتطلب الكنيسة سلطات أوسع ولا يقرها الأباطرة فيكون الخلاف ، وكل اولئك يسير على منوال لا تناقض فيه ، فالكنيسة كانت تدافع عن وجهة نظر تؤمن بها،والملك أوالامبراطور يؤمن بوجهة نظر اخرى فاذا وقع الخلاف بينهما كان أمراً عادياً عند كليهما ، وان كان كل فريق يستهجن ما يراه الفريق الآخر . وفي القرون الأولى كان الناس لا يحسون بما نحسه الآن من العبودية ولذلك ساد نظام الاسترقاق ، وشاع في الناس ان هذا النظام لا غبار عليه وقليل هم الذين كانوا يتحسسون ما يجر من ويلات وما يترك من آثار في النفس الانسانية التي يقع عليها الرق وفي النفس الطاغية التي تستمرىء الرق ، وفي المرد الاخير نفس الأمة التي يكثر فيها الرقيق .

وكان الناس لا يرون في الاستبداد شيئاً مستنكراً فاذا تمكن القوي من الأمر جاز له أن يفعل ما يشاء ، فان بدت منه الرأفة والرحمة فهي من فيض كرمه وهي من لطف الله بالعباد . ومن هم الناس في أول الأمر وآخره؟ انهم كعشب المروج خلقوا ليؤكلوا أو ليذبلوا ، تلك كانت حقائق مقررة في النفوس، نفوس الحاكمين والمحكومين .

وجاءت النهضة الأوربية الحديثة ، فأخذت هـذه المفاهيم تنهار وتتهرأ وتصدأ وتذوب حتى لم يبق منها شيء في مطلع القرن العشرين ، وبانتهاء الحرب العالمية الثانية لم يبق من هذه المفاهيم في نفوس الغربيين (على الأقل) شيء ، واستطيع ان اعمم فأقول ان اليقظة التي أضاءت بنورها الشرق قد فتحت عينيه على نور الحرية الأزلي وكحلتهما . فهما اقوى وأحد بصراً منهما في أي عهد من العهود ، والذي يظهر أن هاتين العينين مركبتان في رأس كبيرة على قامة جبارة خيرة فهي تريد هذه الحرية لها وللناس على شتى ألوانهم وشيعهم وفلسفاتهم في الحكم .

الى هنا لم اتكلم عن تناقض هذا العصر شيئاً .

كان الغربيون يؤمنون بالحرية في ديارهم وينكرونها على الآخرين الذين يعيشون في الشرق وهم اليوم يؤمنون بأن الحرية من حق الناس كافة وحقوق

الانسان التي انتجتها القلوب الخيرة والعقول النيرة آمنت بذلك وقررته واذاعته في الناس . وكان الغربيون يرون انهم سادة الدنيا وان من حقهم ان يسخروها لمآربهم وقد دلهم العلم الآن ان الدنيا يسكنها جنس يسمى الجنس البشري وكله من تراب وان مصلحة أي فريق من هـــذا الجنس لا تؤمن إلا بتأمين مصالح بقية الفرقاء .

وكان الغربيون يرون ان القوة وحدهـــا هي التي تقرر مصير المصالح القومية . ثم كانت هذه المؤتمرات من أجل تخفيف التوتر الذي يسوق الى الحرب ، تبشر بانفراج الغمة ، ذلك بأن القوة لم تعد ملكاً لفريق دون فريق ، وبأن الجهة الرابحة قد تدمرها القنبلة الهيدروجينية مع الجهة الخاسرة ،إلا أن هذه المؤتمرات في باب المتناقضات ادخل ، لانهم لا يزالون يسعون في الارض على غير المبادىء التي أصبحوا يؤمنون بها ، واذا أخذت ما يزعمه التاريـخ في الثورة الفرنسية ورأيت ما تجترحه فرنسا عامدة في المغرب العربي ، الفيت أن فرنسا الحرية في عالم القرن الثامن عشر وفرنسا الاستبداد والطغيان في القرن العشرين . ولا ريب أن بقية الدول التي تغضي عن هذا المصير تضرب بسهم وافر في نصيب فرنسا ،وبسكوتها عن هذا الظلم فانها ولا ريب تشاطر في الوزر، ومن هنا كان التناقض مميتاً للايمان عند من يقـــع عليهم الظلم وعند من يسمعون به من الاقوياء والضعفاء على السواء ! !

وما نقوله عن فرنسا بوصفها فريقاً مستقلاً نقوله عنها بوصفها شريكاً في مأساة فلسطين ، ولقد قالت المصادر الروحية العالية أن الملكية الفردية حق مقدس ، وتصرف الدمقراطيات في بلادها يدل على أنها تؤمن بذلك بشكل ما، ولا أدري كيف أجاز كل هؤلاء أن يعتدى على ملكية مليون انسان سكنوا فلسطين منذ الوف السنين . . ولست أدري وقد نصت حقوق الانسان على تقديس الكرامة الانسانية كيف يأتلف هذا النص وهذا الايمان مع تشريد الف الف عن ديارهم .

ألا ترى معي أن هـــذا العصر اكثر العصور تناقضاً ونقضاً لما يؤمن به من المبادىء ؟ !

لا يهمني أن اتكلم عن امة بعينها ، ولا عن بلد بعينه وانما يهمني الانسان ومصيره واطمئنانه الى غده المحفوف بكل المكاره والاخطار . لقد ذهب اليوم الذي كان يقال فيه ان هذا الجنس متفرد متفوق ، وان هذا ضعيف فليؤكل ، لقد بشرونا باعلان الحرب المقدسة على الفقر والجهل والمرض ، وبشرونا بأنهم يريدون أن يحرروا العالم من الطغيان الهتلري ، وبشرونا بألف بشرى وبشرى وقد حاولنا أن نفكر فيما قالوا ودعونا الله ان يلهمهم التمسك بالمبادىء التي نادوا بها حباً منا لهم وللانسان ، ولا أقول انهم انقطعوا عن هذا التبشير وهذا

الاعلان ، ونحن نتحرق شوقاً الى الايمان ونسعى اليه جاهدين ، ونعمل من أجله مخلصين . ولكنا نريد أن نمسك باليدين آثار هذه العقائد ، وحين نعجز عن ذلك نحاول ان نتلمس ذلك في الخيـــال ، فيعز علينا المنال ، فالتناقض والنقض من طبيعة هـــذا العصر الذي نعيش ، فلم يسبق لعصر من عصور التاريخ أن اعلن المبادىء السامية وآمن بها ، ثم سعى جاهداً في نقضها كمـا يفعل هذا العصر .

ومن المحقق ان الساسة في هـذه الايام جديرون بالرثاء ، لأن النـاس يسعون وراء الحق الذي لا ريب فيه ولأن الناس يشعرون بوجودهم وأهمية هذا الوجود بالنسبة لهم أي للناس . ولكنهم يعودون لانفسهم ويقولون انا لله وانا اليه راجعون ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .



الناس

١ ـ من الناس من لا يعجبهم شيء ، وهم ابداً يتنـدرون على من دونهم ومن فوقهم وكثيراً مـا يكون هؤلاء دون الناس ، فلا يرتفعون الى فوق ، ولا يهبطون الى أسفل بل يظلون حيث هم لأنهم لا يعرفون إلا النقمة والحسد ، ولا يعرفون أن يتزحزحوا عن آرائهم المسكينة المتهالكة ، وهؤلاء لا شأن لنا بهم ، فهم غثاء ، وهم شيء تقع عليـه العين أو تحس به الأذن فيكون أذى في ذلك الوقت .

٢ ـ ومن الناس من ينصبون الشراك للعلياء ، وشراكهم الدس والوقيعة والنفاق والكذب والرياء ، وشيء من المقدرة ، وكثير من الخبث ، والانطوائية في مظهر يخالفهـا ، والكراهيـة لكل شيء ، الا ذواتهم المنكرة التي لا تحب شيئاً ولا تؤمن بشيء، وهؤلاء من أشد الناس خطراً على المجتمع، ولا ينشأ هؤلاء إلا في الظـلام ، ولا يعيش هؤلاء إلا في الايام المضطربـة . ويتخذهم الظلام لكل شيء ، وهم ينفعون عنده لكل أمر ، والواقع أنهم لا ينفعون لشيء أبداً ، لأنهم يعيشون بلا شعور ، وبلا ضمير ، وبلا مسرة ، لأنهم لا شخصيـة لهم يتلونون كالحرباء في مختلف الظروف .

٣ ـ ومن الناس من يهتمون للقيم ، ولا تغرهم بهارج الدنيا ، ويقنعون بالقليل ، ولا يرضون إلا اذا رضي ضميرهم ، ولا يفعلون ، إلا ما يمليه عليهم الحق ، وهؤلاء كثيرون ، فمنهم من يمشي الى آخر الشوط ، ومنهم من تغرهم الدنيا فينصرفون الى ارضاء الاقوياء ، فيظهرون وتكبر أسماؤهم كلما كبر أذاهم . ومنهم من يظلون رهناً لمـــا ألفوا ، فيعيشون نكرات في الظلام ، وان كانوا مصابيح الخلق والمروءة . . .

٤ ـ ومن النـاس من يعيشون لا ليحقوا حقاً أو ليبطلوا باطلاً بل لأنهم وجدوا في الحياة فهم يأخذونها على علاتها ، فلا يروعهم البــاطل اذا أعمل مهمازه في خـاصرة الحق ، ولا يسرهم الحق اذا علا ولا يؤذيهم أن يشـايعوا البـاطل وان يزينوا له الافعــال في السبيل الذي أراد ، اذا كان في ذلك فائدة لهم .

هؤلاء هم الذين يعيشون دون قيم ، وهؤلاء هـم الذين يجرون الدنيـا ويتركون أهل النظريات ليتناحروا كيف أرادوا . أمـا هم فانهم يستخدمون كل شيء في سبيل أن يظلوا على الجانب الأسلم الأربح .

٥ ـ ومن الناس من يولدون في العمل ويظلون في غماره يسعون وراءه ، وينطلقون معه ، ويكونون امامه ، فلا يجدون سبيلاً الى التفكير لأنهم أبداً في

التيار ، انهم يجدون في سبيل الكفاف من المأكل والمشرب والمأوى ،لا يكادون يبلغون غاية حتى تتفتح لهم غايات ، ولا يكادون ينعمون بالنفس العميق حتى يتتابهم ما يضيق عليهم الانفاس ، وهم مع ذلك اذا حصلوا على الكفاف كانوا من اكثر الناس ، استمتاعاً بمباهج الحياة ، ومسراتها وآلامها ، يلذون بما يأكلون ، ويفرحون بالجديد الذي يلبسون ، وبالبيت الذي يسكنون أو يبتنون، وكل اولئك لانهم لا يجدون وقتاً لفلسفة الحياة على النحو الذي يفلفسه المحدثون ، ولا يعقدون سبل العيش ، لانهم في أبسط اموره مغرقون !!

٦ ـ ومن الناس من كتب لهم أن يستمتعوا بالنظر والتفكير في تطور الحياة والاحياء ، فهم في الارض يبذرون البذور ويلاحظون نموها من حين ترتفع أوراقها الخضر عن التراب كالآمال الخيرة والمحبة في الله ولله ، فلا يزالون يرونها صباح مساء ، ويتابعون هذه البشائر الطافحة بالخير ، فيرونها أوراقاً وأغصاناً واثماراً ، فجنى في السلال والاكياس ، والبيوت أو يرونها جنى في اكف العذارى ، ولذة في شفاههن ، ومسرة في وجوههن وهم من قبل ومن بعد يعملون آناء الليل وأطراف النهار من أجل أن تكون البشائر ،ثمراً نافعاً لهم وللناس .

هؤلاء يعيشون على الارض الطيبة ويستمتعون بخريفها وشتائها ، وربيعها وصيفها،وهؤلاء هم أعمر الناس بالمحبة قلوباً ،اذا انساق اليهم ما عملت به أيديهم وما رعته عيونهم ، وانضمت عليه جوانحهم ، فرفعهم عن العوز والفاقة .

٧ ـ ومن الناس من تتسع قلوبهم لكل الناس فيكونون مع هؤلاء واولئك يحلمون ويعملون ، ويكافحون ويناضلون ، ويقولون ويكتبون ، ويبسمون للمسرات التي ينعم بهـــا الأغيار ويريقون الدموع اذا مس غيرهم الضر ، مشاركة لهم في الأسى ، ومحبة منهم لمن تتنكر لهم الايام . هؤلاء ذوو قلوب كبيرة عامرة بالايمان ، بمحبة الله وعياله ، هؤلاء ملـــح الأرض ، وهؤلاء يستطيعون ان يتغلغلوا في أعماق المسرة الانسانية والألم الانساني ! هؤلاء يعيشون أعماراً فوق أعمارهم القصيرة الخصيبة .



الفهرس

الموضوع	الصفحة
حياتين	٥
مسكين	٨
فلنتكلم بصراحة	١١
من شؤون حواء	١٦
من شؤون آدم	٢١
مجنون	٢٤
الشباب والشيخوخة	٢٧
إيمان الناس	٢٩
عندما صمم	٣١
أنفسنا الشكوكية	٣٦
المحبة والعظمة	٤٢
التفسير والتأويل	٤٦
طاغور	٥٠

الموضـــوع	الصفحة
الحـج	٥١
يوم سعيـد	٥٣
فـكرة	٥٧
فـراق	٦٠
خطرات في مصايف الزبداني	٦٥
مبدأ القوة ومبدأ الحق	٧٠
وخزات صغـيرة	٧٣
قليـل من المسرة	٧٥
قصة كتـاب	٧٧
رأي للنقاش	٨١
بمناسبة تخرج الفوج الاول من التلاميذ فى الميتم الاردني	٨٥
غفوة	٨٨
تنـاقض العصر مفضوح	٩٢
النـاس	٩٧

الناشر
مكتبة الاستقلال
عمان : تلفون ٤٧٥

المطبعة الوطنية ـ عمان